د. إدريس أوهلال

# المستويات السبعة في القراءة

منشورات



| | |
|---|---|
| الكتاب: | المستويات السبعة في القراءة |
| المؤلف: | د. إدريس أوهلال drissohlale@gmail.com |
| المراجعة اللغوية: | ذ. محمد طلحة |
| تصميم الغلاف: | Hawity Design |
| الطبعة: | الثانية 2017 |
| الحقوق: | جميع الحقوق محفوظة للمؤلف |
| الناشر: | مجموعة الأكاديميات الدولية |

جميع الحقوق محفوظة © 2017

لا يسمح بطبع هذا الكتاب أو جزء منه، بكل طرق الطبع

والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي أو غيرها،

أو استخدامه في مناهج تعليمية في ورشة عامة أو خاصة، إلا بإذن خطي من المؤلف

# تصدير

يجب أن نأخذ القراءة بقوة، وأن نحملها على محمل الجد، وبدرجة مفرطة؛ فالصيغة الفعلية في "**اقرأ**"، وبصيغة الأمر، وأسلوب التقديم، واقترانها بصفات الخلق والأكرمية والتعليم، كل ذلك يدل على أن القراءة أمر جدي أكثر مما نتصور.

# مقدمة

يعطينا تاريخ العلماء والمفكرين درساً مهماً في علاقة القراءة بالتميز: إذا أردت أن تصبح عالما ومفكرا متميزا عليك أولا أن تكون قارئاً جيداً؛ فالكاتب الجَيّد ليس سوى قارئ جيد.

كان أبو حامد الغزالي قارئا جيدا لفلسفة زمانه؛ فقد مَيَّز فيها وصَنَّف وقَسَّم وحلل وقارن وأعاد ورَدَّد وتفقد واطَّلع وأقَرّ واعترف ورفض. وكان كانط قارئا جيدا لفلسفة القرن السابع عشر التي اقتسمتها مدرستان: المدرسة العقلانية والمدرسة التجريبية؛ لأنه عرف كيف يخرج من سباته العقلاني دون أن يسقط في شَرَك الاتجاه التجريبي، وأسس خيارا منهجيا ثالثا بينهما. وكان جاك لاكان قارئا جيدا لفرويد؛ لأنه نجح في الفصل بين فرويد صاحب المنهج، وفرويد الدوغما. وكان لويس ألتوسير قارئا جيدا لماركس؛ لأنه استطاع أن يميز بين ماركس المفكر، وماركس الإيديولوجي. وكان طه عبد الرحمن قارئا جيدا للتراث؛ لأنه امتلك القدرة على التمييز بدقة وبوضوح في التراث بين المنهج ومنتوجه المعرفي. وكان فيتغنشتاين قارئا من الدرجة الممتازة؛ لأنه أدرك بأن مهمة القارئ هي إحباط ألاعيب اللغة، والتفطن إلى فخاخها.

في كل هذه الحالات، ومثلها كثير في تاريخ العلماء والمفكرين، نقف أمام حقيقة أساسية واحدة: **الذي لا يتعلم القراءة يبقى في العتمة.**



# الجزء الأول

## المستويات القرائية الدنيا



## رحلة ممتعة وطويلة وشاقة

**لا يمكن تعلم القراءة إلا من خلال القراءة.**

تعلم القراءة ليس شيئا بديهيا كالمشي، والمدرسة لا تُعَلِّم القراءة دائما، وحتى العائلة لا يمكنها المساعدة على تعلم القراءة إذا كانت من النوع الذي يكتفي بوضع الكتب في الخزانة.

لكن ما معنى "**تعلم القراءة**"؟

إن تعلم القراءة معناه أولا أن تجد **متعة في القراءة**؛ تلك المتعة التي لم تبدأ في حياتنا بالمفردات والمعاني والقواعد وتحليل الخطاب والنقد، وإنما بدأت لحسن حظنا بأغاني الطفولة وحكاياتها.

وتعلم القراءة معناه ثانيا أن تجيد **اختيار نوعية الكتب** التي تقرأها؛ فليس المهم عدد الكتب التي تقرأها، وليس من الذكاء أن تقرأ أنوار كتب المنبع على ضوء شروحات كتب المصب؛ لأن كتابا واحدا من المنبع يُغني عن ألف كتاب من المصب، وأن تتحرر من الرعب الذي تسببه كتب المنبع لدى المتمسكين بقراءة كتب المصب، وأن تتوب من ذنب كتب المستنقعات التي تسرق من عمرك.

وتعلم القراءة معناه ثالثا أن تتقن **استخدام المنهجيات الملائمة للفهم** الواضح والدقيق. فالقراءة كالتفكير، بل هي التفكير عينه، تلك

المعاناة الفكرية التي تقودنا إلى النهاية السعيدة: الوضوح والدقة والبساطة .

وتعلم القراءة معناه أيضا أن تملك القدرة على **القراءة السريعة**؛ أي على قراءة وفهم كتاب من مائة صفحة في ساعة واحدة، لكن مع الصبر على قراءة وإعادة قراءة ومقارنة وتمييز وتصنيف وتحليل وتأمل فقرة من مائة حرف في ساعات متعددة وأيام.

وتعلم القراءة هو كذلك أن تملك مهارة **القفز بين الخطابات، والنقد الفعال والعملي** لها.

وأخيرا تعلم القراءة هو **التلقي من مستويات منطقية متعددة**.

إن القصة التي يسردها هذا الكتاب هي قصة رحلة ممتعة وطويلة وشاقة؛ قصة وجود خارطة طريق لأنواع ومستويات القراءة. وهذه القصة لا تتحدث عن القراءة فقط، وإنما عن علاقتنا بها أولا. وإذا ما اقتنعت بأن علاقتك بالقراءة تحتاج إلى إعادة نظر فأهلا بك في **رحلة المستويات السبعة للقراءة**.

## الخوف من الرحلة

**الشجاعة تنمو بالمبادرة، والخوف ينمو بالتردد**

لماذا نخاف من القراءة، ومن الوقوع في متعتها ووضوحها وسرعتها وآفاقها الممتدة كبحر لا ساحل له؟

قد يبدو هذا السؤال غريبا. فلا أحد يخاف من القراءة على ما يبدو، والقراءة ليست من نوع الموضوعات التي يمكن للإنسان أن يخاف منها، إلا أنه يوجد خوف من القراءة، وعلينا الوعي به وبمصادره والتحرر منه.

إن مصادر الخوف من القراءة ستة:

- الخوف من فقدان متعة الأصحاب والأنترنت والتلفزيون والسهرات والعمل، بحيث ينظر إلى الكتاب وكأنه من المحال أن يكون مصدرا للمتعة!
- والخوف من عدم الفهم، بحيث ينظر إلى الكتاب وكأنه من المحال فهمه!
- والخوف من مدة القراءة، بحيث ينظر إلى الكتاب وكأنه من المحال إنهاؤه!

- والخوف من المعرفة المتخصصة في الكتاب، بحيث ينظر إلى المعرفة وكأنه من المحال تكاملها!
- والخوف من عصف الكتاب بأفكارنا التي نحبها وثبت لدينا عمقها، بحيث ينظر إلى الكتاب وكأنه من المحال نقده!
- والخوف من التناقض، بحيث ينظر إلى قراءة الكتاب من مستويات منطقية متعددة وكأنه الجنون بعينه!

يوجد إذن خوف من القراءة. والوعي بهذا الخوف وبمصادره والتحرر منه هو البداية الصحيحة لمن أراد تحسين أدائه في القراءة. فالتخلي يسبق التحلي، والتحلي يسبق التجلي.

# خارطة الطريق

**لا ريح مواتية لمن ليست له وجهة.**

هل قهرنا خوفنا فعلا، أم هو الحماس الرخيص وروح التنافس وإرضاء المعلم والأبوين؟ لا شيء يفتر أسرع من الحماسة، ومع ذلك لا ينتبه الناس لخطر مستعجلات الوصفات الجاهزة للتحفيز السريع.

التصالح مع الكتب هو أجمل بداية، لكن كيف نتصالح مع الكتاب؟ "متعة القراءة" وحدها تصنع الجاهزية للرحلة الطويلة والشاقة، لكن كيف نوقظ هذه المتعة، وكيف نحتضنها عندما تستيقظ؟

ومع أن "متعة القراءة "هي البداية الصحيحة، إلا أنها وحدها لا تكفي، شأنها شأن كل الأشياء الضرورية وغير الكافية في هذا العالم. يجب عبور طريق إضافي؛ وهو الطريق الصاعد عبر عقبات سوء الفهم، والحاجة إلى "جُهد" منهجيات وتقنيات وأدوات مُجَرَّبة بإتقان للقراءة والفهم. عندما تكون البداية هي "**المتعة**" يتحول "**الجهد**" إلى رفيق دربها فيتضافران ويعملان كل واحد لصالح الآخر. وهنا يصبح الجهد ضمانة لزيادة المتعة، والمتعة حافزا لمضاعفة الجهد.

ولأن "القراءة المنهجية" تُبْطئ بطبيعتها سرعة "القراءة الماتعة"، سنحتاج إلى خطوة ثالثة على سلم تحسين أداء القراءة: "القراءة السريعة."

من الخطأ البدء بتعليم "القراءة السريعة"، ولا يمكن أن تكون "القراءة السريعة "بداية؛ لأنها تتوجه إلى قارئ جاد يفترض فيه امتلاك "متعة القراءة"، وإتقان مهارات "القراءة المنهجية". هنا أيضا نحتاج إلى فقه للأولويات.

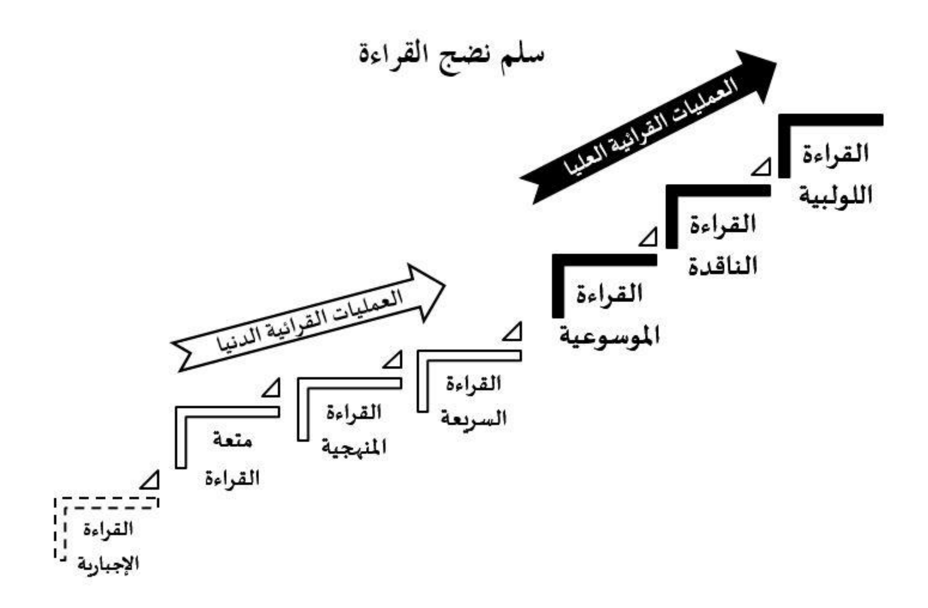
هذه هي "**العمليات القرائية الدنيا**" الثلاث: **القراءة الماتعة، والقراءة المنهجية، والقراءة السريعة**. وبعد متعة القراءة وتعلم مهارات الفهم والسرعة، علينا أن نكون جاهزين، وأن ننتظر بثبات الهجوم.

نعم.. علينا أن ننتظر بثبات الهجوم؛ ففي المراحل المقبلة سنواجه كتبا سطرت عباراتها الإشارية وإشاراتها العبارية أدمغة رهيبة تحتوي على مكتبات متخصصة، وأخرى موسوعية، وقواعد بيانات متحركة، ومحركات بحث قوية، ومراكز للبحث العلمي المتخصص، وأنظمة فعالة لليقظة المعرفية، وشبكات معقدة من العلاقات بين الخلايا العصبية لأدمغة متعددة.

في هذه المواجهة نحتاج إلى أسلحة جديدة مختلفة نوعيا عن أسلحة العمليات القرائية الدنيا، سنحتاج إلى أسلحة "**العمليات القرائية العليا**": **القراءة الموسوعية، والقراءة الناقدة، والقراءة اللولبية.**

إن مراحل تحسين أداء القراءة بدءا من أسفل السلم وهو واقع الاكتفاء بالقراءة الإجبارية والعزوف عن القراءة الحرة والاكتفاء باقتناء الكتب لوضعها في الخزانة، وانتهاء إلى قمة السلم بإتقان القراءة من مستويات منطقية متعددة، هي بالترتيب:

- القراءة الإجبارية
- **متعة القراءة**
- **القراءة المنهجية**
- **القراءة السريعة**
- **القراءة الموسوعية**
- **القراءة الناقدة**
- **القراءة اللولبية**



# وبدأت الرحلة

**البدايات تكون دائما ممتعة.**

لا يمكن تحويل الإنسان العصي على القراءة إلى قارئ بإجباره على القراءة، ولا ضربة عصا التحفيز السريع السحرية تنفع معه. هناك شرط واحد لتحويل الإنسان إلى قارئ: **التحرر من الخوف.**

عندما نخرج من القراءة الإجبارية، ونقطع الطريق الصاعد عبر عقبة الخوف والذي يقود إلى متعة القراءة، تكون الرحلة قد بدأت.

في بداية الرحلة علينا أن نستمتع بالقراءة فقط، وننسى كل شيء.. ننسى الشرح، والفكرة العامة، والأفكار الثانوية، والملخص، وتحليل النص، وبنية النص، والمناقشة.. علينا أن ننسى المنهاج والمقرر.

## متعة القراءة

**أرجوك وأتوسل إليك لا تفسد علينا متعة القراءة.**

لماذا نجد المتعة والفهم والسرعة عندما نقرأ خُلْسَةً كتباً من خارج المقرر والمنهاج، ونجد الكتب المقررة في المنهاج ثقيلة الظل؟ ما ذنب المدرسة والمنهاج؟

- المدرسة لا تعلمنا، المدرسة تهجننا، تدجننا، تصنعنا في قوالب جاهزة لا تصلح للذات ولا للمستقبل.. المدرسة تقتل روح المبادرة وتقبر التميز وتضع الإنسان في قوالب جاهزة جائرة.. القراءة الحرة تجعل الإنسان ينمو ويتطور، وتسمح له ببناء ذاته كما يريد هو وكما ينبغي له أن يكون؛ إنسان بطاقة هائلة قادرة على استيعاب جميع المعارف.*

إذن أنت قليل الاهتمام بالدراسة ومشاغب.

- البرامج والمناهج ينعدم فيها التشويق والإثارة.

بالعكس موجودة.. وقمة في التشويق والإثارة.. فقط مؤجلة ليوم الامتحان، ويوم إعلان النتائج!

- الكتاب المقرر يرتبط بضغط الامتحان؛ فهو مفروض عليك. أنت لم تختره عن رغبة، كما يجب عليك دراسته في فترة معينة.

* هذه النصوص الحوارية ليست من إنشاء الكاتب، بل هي مشاركات من القراء المتفاعلين في مرحلة كان فيها الكتاب ينشر منجماً.

بسيطة... نقرأ كتاباً آخر خفية عن أعين المقرر

- هناك علم ميت وعلم حي. فما نتلقاه في المدرسة هو علم ميت، والمطالعة الخارجة عن إطار المدرسة هو علم حي.

سبحان الله الذي يخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي !

- ربما هذا راجع لطبيعة النفس البشرية؛ فالإنسان يحب ما يختاره هو لا ما يأمره به الغير.

وهل نزل فعل القراءة بصيغة أخرى غير الأمر؟ وهل توجد تربية بدون سلطة مادية أو رمزية؟

- القراءة خارج المقررات تشعرك بالحرية لذا تأخذك إلى عوالم المتعة والارتياح .. والعكس هو الذي يحدث مع المنهاج الدراسي.

فلنقرأ إذن خارج المقرر.. ولتحيَ الحرية.

- هناك كتب مفروضة، وهناك كتب مختارة.

الكتاب كالصديق لا يفرض، بل يتم اختياره.

- ربما لأن البرامج لم تصمم وفق ميول المتعلمين، بل حسب اختيارات الدولة.

المشكلة يا سيدي هي أن البرامج لو وضعت وفق ميولنا، فلن تجد الدولة وسيلة لتطمئن إلى أننا فهمنا الفكرة العامة والأفكار الثانوية.

- برمجة ذهنية؛ لارتباط الكتب المقررة بمدرسة مقززة، أو معلم منفر، أو بإلزامية مقيدة.

نغير إذن البرمجة، لنحرر المتعلم من الخوف

هناك إجماع على إدانة المدرسة والمنهاج والمقرر...

- الصفة الإلزامية والمقيِّدة للمقرر الدراسي والمدرسة والمدرس والامتحان، تجعل الأمر مملا. وعلى النقيض من ذلك كتب المطالعة التي نختارها بأنفسنا لتلبي لنا حاجة، كما نختار لقراءتها الزمان والمكان والظروف التي تناسبنا.

عندما نكون في "حال" متعة القراءة، وتسري هذه المتعة في كياننا بأكمله ننسى ما الكتاب، وما القراءة، ولماذا يجب أن نقرأ، وكيف نقرأ؟ ننسى ونحن نستمتع بمائة عام من العزلة أن الرواية نص سردي ..وأن بنية الرواية.. وأن شخصيات الرواية..

- أرجوك وأتوسل إليك لا تفسد علينا متعة القراءة.

عندما نشرب الماء لإرواء عطشنا الشديد لا يخطر ببالنا للحظة أن تركيبته الكيميائية ذرتان من الهيدروجين وذرة واحدة من الأوكسجين. لا نحتاج إلى درس في الكيمياء لإرواء عطشنا. ولا نحتاج إلى منح الطفل أو المراهق متعة القراءة بدرس حول متعة القراءة. متعة القراءة موجودة عندهما. ولكن منعها من التجلي الخوف من المنهاج.

استمتع بقراءتك.. ودع اليقظة المنهجية، والسرعة، والتكامل المعرفي، والحس النقدي، والمستويات المنطقية المتعددة يأتون لاحقا. أمامنا إفساد أحوال!

## إفساد الأحوال

**القراءة هي ثاني أكبر مدرسة للتعلم بعد مدرسة الحياة.**

إفساد الأحوال..! إنه بالضبط التعبير المناسب لو أردنا وصفا دقيقا لبقية الرحلة. فابتداء من هذه المرحلة الثالثة (القراءة المنهجية) سيركب معك "الجهد"، وسيزاحم "المتعة" ويشوش عليها على امتداد بقية الرحلة.

إننا لا نقرأ لنستمتع فقط، بل لنتعلم أيضا. والقراءة هي ثاني أكبر مدرسة للتعلم بعد مدرسة الحياة.

القراءة والتعلم فعل واحد، يجمعهما الإحساس بالمسؤولية، والاستعداد لتلقي الأمر؛ فبعد التعلم سلوك يطلب نتائج.

في القراءة لا نتلقى المعنى فقط، بل نتلقى الأمر معه؛ فالكاتب يأمر، والقيم الضمنية تأمر، واللغة تأمر. ولفهم هذا البعد الخفي في علاقتنا بالكتاب علينا أن نعيد طرح السؤال: ما القراءة؟ لأن الأسئلة البديهية البسيطة التي نجيب عنها دون تفكير كل يوم، هي أحد أهم مصادر الخلط والغموض وعدم الفعالية التي نعاني منها كل يوم.

ليست القراءة مجرد عملية معرفية انفعالية تواصلية عادية وبريئة بين قارئ وكاتب تقوم على تفكيك الرموز والعلامات لفهم المعنى.

القراءة صراع. ها أنت ترى متعة القراءة وقد بدأت في التبخر. بل صراع مزدوج: صراع معرفي لبناء المعنى والاستنتاج والنقد والحكم وحل المشكلات بين ثلاثة عقول: عقل استيعابي، وعقل تواؤمي، وعقل موقفي، وصراع إرادات على بناء السلوك والانتقال إلى الفعل بين ثلاث إرادات: إرادة الكاتب، وإرادة القارئ، وإرادة الواجب.

كل قراءة هي بالضرورة صراع مزدوج مع الذات، لأن كل نص يتضمن بالضرورة معارف وقيما؛ معارف تستدعي الفهم عبر آليات الصراع المعرفي، وقيما صريحة أو ضمنية تستدعي السلوك المطابق للقيم الجديدة عبر آليات الصراع بين هذه القيم الجديدة ومنظومة القيم الذاتية.

اسأل نفسك وأنت تقرأ أي كتاب: بأي فهم وبأية إرادة أقرأ هذا الكتاب؟ ليس العقل وحده من يقرأ، بل الإرادة أيضا. وليس العقل وحده من يخاف، بل الإرادة أيضا؛ العقل يخاف من سوء الفهم، والإرادة تخاف من الإلزام. القراءة ليست قضاء وقت، أو تذوق أسلوب، أو تكوين معنى، إنما يجب عندما تنتهي القراءة ويستكمل الفهم أن يبدأ العمل. إن الكتب المهمة يبدأ أثرها عندما ننتهي من قراءتها.

القراءة إذن صراع ذاتي مزدوج، نحتاج للدخول فيه بقوة والخروج منه بنجاح، إلى التسلح بقدرات عقلية (كالفهم والاستنتاج والنقد..)، واستعدادات إرادية (كالشغف والمثابرة والمسؤولية..). وإذا كنت لا تملك

هذه القدرات والاستعدادات الذاتية ستتوقف رحلتك هنا، وسترجع للاستمتاع بقراءتك من غير "تشويش".

استمتع وقف ههنا.. فإنك لا تصلح لمتابعة الرحلة.

# اختيار الكتاب

**الكتاب ليس خير جليس في الزّمانِ دائما. فالكتب كالبشر: جلساء الخير، أو سارقو الوقت.**

- لن تتوقف رحلتنا هنا..

- لن نرجع.. سنتابع الرحلة..

- جاهزون للتشويش..

- مستعدون لبذل الجهد..

- عن الشوق لفقه تلقي المعنى والأمر حدث ولا حرج..

طيب.. طيب.. لتُفتَح إذن كل الأشرعة..

- حَيَّ على الإبحار، فقد طال الانتظار..

البداية ستكون من اختيار الكتاب الذي سنقرأ. إن "الجهد" الأول الذي ينتظرنا في هذه الرحلة هو جهد اختيار الكتاب الذي يستحق أن يقرأ، وهو الشرط الأول للقراءة الفعالة؛ فمن صحت بدايته، أشرقت نهايته.

هل يمكن أن نتكلم عن كتاب جيد، وكتاب سيء؟ هل كل كتاب يستحق أن يقرأ؟

- نعم.. لنتعلم.. لا يخلو شر من خير، والعكس صحيح..

- نعم.. كل الكتب تقرأ..

- يستحق لأنه كتاب وكفى. أما التفاعل معه فبحسب القيمة..

ويقف أنصار "لا" لأنصار "نعم" بالمرصاد؛ فليس كل كتاب يستحق أن يقرأ بنظرهم، والكتاب ليس خير جليس في الزّمانِ دائما. فالكتب كالبشر؛ جلساء الخير، أو سارقو الوقت.

- لا يستحق أي كتاب أن يقرأ.

- لا طبعا.. نركز على أمهات الكتب..

- بعض الكتب تستحق أن تحرق..

مهلا مهلا! هناك فرق بين معالجة هذا السؤال من زاوية معرفية وفنية، ومعالجته من زاوية أخلاقية وحقوقية. من الناحية الأخلاقية والحقوقية من حق كل كاتب أن يكتب أي شيء، كما من حق كل قارئ أن يقرأ أي شيء. لكن الإقرار بهذا الحق لا ينبغي له أن يخفي عنا حقيقة أن هناك كتبا جيدة وأخرى رديئة من الناحية المعرفية والفنية.

- تبعا للسن.. في مرحلة تشعر أن عليك أن تقرأ كل شيء، ثم نكتشف أن إعادة قراءة كتاب جيد خير من قراءة مائة.

- كل مرحلة من "عمر القراءة"، إذا جازت هذه التسمية، لها خصائصها وقدراتها، ولها محتاجاتها وواجباتها.. كنا في البدايات نقرأ كل ما يقع لنا من الكتب، أما الآن فقد تغيرت الأحوال.

لفترة ما نقرأ كل شيء، ونقرأ أي شيء. ثم يأتي يوم تنتصر فيه الكتب الجيدة.

إن الكتب من جهة القيمة ثلاثة أنواع:

- **كتب المنبع**؛ وهي الكتب التي فيها إبداع وأصالة. تعرفها أولا من موضوعها وأسئلتها، ثم من عمق التحليل، ودقة العبارة، وجمالية الإشارة، وقوة الدليل، وأصالة المعجم، وخصوصية الأسلوب. كتب تملك القدرة على اختراق القارئ لدرجة العصف بأفكاره وأساليبه المحببة لديه، والتي ثبت عمقها وجمالها عنده.

- **كتب المصب**؛ وهي الكتب التي تكتفي بإعادة إنتاج لا نهائية لما في كتب المنبع في نسخ طبق الأصل أو في صور رديئة. فهناك كتب المصب الجيدة، وكتب المصب الرديئة.

- **كتب المستنقعات**؛ هي الكتب التي تتاجر بالمشاعر والأحاسيس القوية من خلال التضخيم والدعاية، وتقوم "بدراسة السوق" لكي تبيع حسب "حالة السوق". وهي كتب معدة في قالب، وتعمل على "قولبة" القارئ معها .وأخطر أثر تحدثه هو التهاب المشاعر العابر، وتدمير الجهاز المناعي للقارئ.

إن كتابا من المنبع يُغني عن ألف كتاب من المصب. أما كتب المستنقعات فتسرق من عمرنا. وأفضل "**مسار قرائي**" يمكن لنا أن نحظى

به هو مسار القارئ الذي يبدأ بقراءة كتب المصب الجيدة، فقراءة كتب المنبع، ثم إعادة قراءة كتب المنبع.

## مؤشرات جودة الكتاب ورداءته

**الناس صنفان: صاحب حاجات حقيقية واضحة، وكتلة بشرية من الرغبات.**

المعرض الدولي للكتاب على الأبواب، والناس بحاجة مُلِحَّة ومستعجلة لمعرفة معايير اختيار الكتب.

- أعتقد أن الموضوع يخضع لمبدأي الثابت والمتغير: فالمتغير هي الكتب، والثابت هي معايير الاختيار.. وتَحَكُّمُنا في الثوابت يفضي بنا إلى التحكم في المتغيرات.

- أريد أن أطرح السؤال بطريقة مباشرة: ما هي معايير اختيار كتاب للقراءة.

الجولة في معرض الكتاب لا تختلف، من حيث الطبيعة، عن أي جولة في سوبر ماركت للتسوق؛ الناس في الحالتين صنفان: صاحب حاجات حقيقية واضحة، وكتلة بشرية من الرغبات.. ولله في خلقه شؤون. القارئ يدرك حاجاته المعرفية، ويعرف كيف يصل إلى الكتاب الذي يشبعها، ويشتري حسب حاجاته. وكتلة الرغبات المتحركة تنساق مع رغباتها، وتشتري لإشباع هوايتها في جمع الكتب.

لكن هل توجد وسيلة فعالة ومضمونة لمعرفة الكتاب الجيد، وحماية أنفسنا من رغباتنا؟

- هذا السؤال كان يراودني كثيرا، خصوصا عندما يفكر الإنسان في البحث عن كتاب يغنيه عن مئة.

يمكن توقع جودة الكتاب من خلال بعض المؤشرات:

- **اسم المؤلف**: يوجد مؤلفون كبار نثق في كتاباتهم.
- **دار النشر**: توجد دور نشر تحترم قراءها، ولا تنشر إلا الجيد من الكتب.
- **سنة النشر**: يفرض هذا المعيار نفسه إذا كنا نبحث عن الجديد في تخصصنا أو في مجال ما يهمنا.

كما يمكن توقع رداءة الكتاب من خلال بعض المؤشرات:

- **انتفاخ الخيال** عند قراءة العنوان الرئيسي
- **انتشار الأدرينالين في الدم** عند قراءة العنوان الفرعي.
- **توتر الأعصاب** عند تصفح الكتاب.

- أصبت والله.

- الندم على إضاعة المال في اقتنائه!

- والله جميل جدا.. لم أكن أنتبه لهذا..

- ولتعرفنهم في لحن القول وضعف الديباجة!

لا يضرك، وأنت تدخل معرضاً للكتاب، أنك لا تملك لائحة بعناوين الكتب التي تريد شراءها. يكفي أن تعرف بوضوح ودقة حاجاتك المعرفية، وتعرف العلامات الدالة على مكان وجودها.

## حاجاتنا المعرفية

**إن القراءة إما أن تكون عميقة ومتنوعة ومتوازنة، أو لا تكون.**

ما هي حاجاتنا المعرفية؟

أعتقد أن المبدأ القائل: "كل شيء عن شيء، وشيء من كل شيء" يلخص لنا بدقة وبوضوح حاجاتنا المعرفية.

هناك أولا **حاجاتنا التخصصية الشخصية** (كل شيء عن شيء)؛ فعندما لا نتابع الجديد في تخصصنا لا نمسي متجاوزين فقط، بل نصبح خطرا على المجتمع. وتوجد ثلاثة فراغات في تكويننا محتملة ينتظرنا سدها هنا: استكمال التخصص، وأصول التخصص، والجديد في التخصص. وعلينا أن نجد الكتب المناسبة التي تسد هذه الفراغات التخصصية عندنا.

وهناك ثانيا **حاجاتنا الموسوعية العامة** (شيء من كل شيء)؛ وهي لا تخرج عن ثلاث فئات من الحاجات: احتياجات مرتبطة **بفهم الذات وتطويرها** (كتب علم الأحياء البشري وعلم النفس والتنمية الذاتية..)، واحتياجات مرتبطة **بمعرفة الواقع والعالم** (كتب التاريخ وعلم الاجتماع والسياسة والاقتصاد والفيزياء والفلك..)، واحتياجات مرتبطة **بمعرفة العمل ومتطلباته** (كتب القيادة والتخطيط والإدارة..).

ويجب أن يكون **لعلوم الآلة** مكان الصدارة في رحلتنا. وهي عند القدماء اللغة والأصول والمنطق .وأعتقد علينا أن نضيف عليها اللسانيات والابستمولوجيا والحجاج، بحكم التطور المهول الحاصل في المعرفة الإنسانية.

ويجب أن يكون **للأدب** أيضا مكانة خاصة في قراءاتنا. لا لنمنح أنفسنا فرصة للاستمتاع والتذوق فقط، هروبا من حقائق الذات والعالم والعمل، ولكن لأن الأدب يمنحنا فرصة استثنائية لفهم أعمق لذواتنا وللعالم والعمل. الرواية مثلا أقدر على وصف النفس الإنسانية والواقع الاجتماعي من علم النفس وعلم الاجتماع. بروست وموليير وكافكا ودوستويفسكي وفلوبير وكامو وباولو كويلو وعبد الرحمن منيف، كل هؤلاء "علماء نفس وعلماء اجتماع" من الدرجة الأولى.

ولأن الروح بعد أساسي في إنسانيتنا، لا بد من حيز مهم **للكتب الدينية** في قراءاتنا؛ الكتب الدينية التي تساعد على تكوين فهم سليم للدين، ولمتطلبات العمل الصحيح والمتوازن بتعاليمه.

إن القراءة إما أن تكون عميقة ومتنوعة ومتوازنة، أو لا تكون.

هذه حاجاتنا المعرفية، فكيف نتعرف على الكتاب الذي يتضمن هذه الحاجات المعرفية؟

توجد طريقة عملية وسريعة لمعرفة ذلك: القراءة الاستكشافية. وهذه خطواتها العملية:

- **اقرأ اسم الكاتب ودار النشر وسنة النشر**. في كثير من الأحيان هذه الخطوة تكفيك لاتخاذ قرارك.
- **اقرأ الفهرس والمقدمة والخاتمة**، وحاول أن تجيب على ثلاثة أسئلة: ما **موضوع** الكتاب؟ ما هي **الأسئلة** التي يعالجها؟ ما هو **منهج** الكاتب في الإجابة على هذه الأسئلة؟ ثم قَرِّر.

- الآن لدينا بعض المؤشرات للتمييز..

هذا جيّد.. لكن علينا أن نتذكر جميعا أن القراءة لا تقتصر على تلقي المعنى فقط، وإنما تقوم على تلقي الأمر أيضا.. علينا ألا ننسى أن القراءة هي مدرسة لتربية العقل والإرادة معاً.

## أمراض القراءة

**التخلية قبل التحلية.**

- هل الرحلة طويلة وشاقة؟

نعم.

- هل لا زلنا في بداية الرحلة؟

نعم.

- هل توجد وصفات جاهزة وسريعة وسهلة يمكن أن تساعدنا؟

لا.

لماذا يبحث الإنسان دائما عن الأسهل ويختاره عندما يكون في وضعية الاختيار بين الأسهل والأفضل؟

- ربما لأن تركيبة دماغ الإنسان تجعله يبحث دائما عن أقصر الطرق وأسرعها وأسهلها .

صحيح.. إنها طبيعة الدماغ.. لكن في مدرسة التربية نحتاج إلى السباحة ضد التيار، وإلى الخروج من المربع المريح.

تابعنا السير حتى وصلنا إلى المحطة الثانية من المرحلة الثالثة. هنا "جهد" آخر ينتظرنا.

عند مدخل المحطة كانت هناك لافتة كبيرة كتب عليها: محطة علاج أمراض القراءة. يُنْصح بعدم متابعة السير قبل العلاج.

- هل أمراض القراءة هي صعوبات القراءة؟

لا.. صعوبات القراءة غير أمراضها..

بعض الناس يجدون صعوبات في اكتساب مهارات القراءة والفهم القرائي، وهذه الإعاقة يكون لها أثر كبير على فعالية القراءة وكفاءتها، وعلى الحياة الشخصية والمهنية. لكن رغم ذلك تبقى صعوبات القراءة أسهل في العلاج من أمراض القراءة. أمراض القراءة يصعب علاجها، وقد لا ينفع معها العلاج.

- لماذا "يُنْصح بعدم متابعة السير قبل العلاج"!؟

التخلية قبل التحلية.

- وما معنى ذلك!؟

يجب أن نتوقف عند أمراض القراءة ونقوم بتخلية الذات منها، قبل متابعة الرحلة على سلم نضج القراءة لتحلية الأداء القرائي.

- ولماذا ذلك!؟

إن الإنسان كل لا يتجزأ، وبالتالي لا يُتَصَوَّر انفصال القراءة من حيث هي نشاط عقلي عن شخصية الإنسان ككل؛ لا يُتَصَوَّر انفصال النشاط العقلي للإنسان عن انفعالاته ومصالحه. إن النضج العقلي والنضج العاطفي والنضج الأخلاقي حقيقة واحدة ذات أوجه متعددة،

وبالتالي فإن جانبا مهما من نضج القراءة مصدره نضج الشخصية. والقراءة كالشخصية تعرض لها أعراض الصحة والمرض.

- وما هي أمراض القراءة؟

هي خمسة أمراض مترابطة يغذي بعضها بعضا:

- **فوبيا القراءة**؛ وهي مرض الخوف من القراءة.
- **القراءة لايت**؛ وهي مرض نقص القراءة المكتسب.
- **القراءة الانفعالية المتطرفة**؛ وهي قراءة من يحمل مشاعر متطرفة تجاه كاتب أو فكرة أو منهج أو حقل معرفي فيها من الإعجاب ما يبلغ حد الانبهار، أو من الكراهية ما يبلغ حد الحقد.
- **القراءة الإيديولوجية**؛ وهي القراءة التي تؤول المعنى وتحرف الأمر لحماية المصالح.
- **قراءة الغيبوبة السعيدة**؛ وهي قراءة صاحب المبدأ الوجودي: أنا أقرأ إذن أنا موجود.

- وكيف نعالج هذه الأمراض؟

تحرر من خوفك.. تحرر من عجزك وكسلك.. تحرر من انفعالاتك الإيجابية والسلبية المتطرفة.. تحرر من مصالحك الضيقة.. تحرر من كهف قراءة الغيبوبة السعيدة.

- لكن كيف؟

هذا هو السؤال.

## القراءة المنهجية

**في المدرسة تعلمنا "القراءة المنهجية" حسب الأصول المدرسية والأكاديمية، لكن لم نتعلم الحس المنهجي.**

أزمة القراءة عندنا متعددة الأبعاد والأوجه، وجهها الظاهر هو العزوف عن القراءة، وما دون ذلك نجد:

- القراءة الرديئة للكتب الرديئة.
- القراءة الرديئة للكتب الجيدة.
- القراءة الجيدة للكتب الرديئة.

والسبب المدرسة والإعلام والأسرة؛ المدرسة التي تعلم كل ما هو تافه، والإعلام الذي يُرَوِّج لكل ما هو تافه، والأسرة التي لا تملك مشروعا يحررها من التفاهة. والاستثناء ما هو إلا ثمرة مجهودات خاصة وشخصية.

**كيف نقرأ بشكل جيد كتبا جيدة؟** بم تسعفنا **القراءة المنهجية** في جودة اختيار الكتاب وجودة قراءته؟

في المدرسة تعلمنا "القراءة المنهجية" حسب الأصول المدرسية والأكاديمية، لكن لم نتعلم **الحس المنهجي**.

القراءة المنهجية فعل تطوير دائم، أما القراءة المنهجية المدرسية فتكرار عبثي لمهارات مدرسية خالصة لهدف مواجهة شبح الامتحان.

تابعنا السير بحثا عن الإجابة، فإذا بنا عند مدخل طريق جبلي صاعد بشكل لولبي إلى قمة جبل. تذكرت الطرق وأنواعها في درس الأداء: الطريق المستقيم، والطريق المتعرج، والطريق اللولبي.

- الطرق المستقيمة لا تساعدنا على تعلم القيادة بشكل جيد!

- الطرق المتعرجة تعلمنا إدارة الصعوبات والأزمات والصراعات.

- الطرق اللولبية تصعد بنا نحو القمة.

عند مدخل الطريق الجبلي كانت هناك نقطة تفتيش.. وعندها لافتة كبيرة كتب عليها: وحدة الدعم المنهجي في خدمتكم.

- يا الله ! إنها ليست نقطة تفتيش ! إنها.. دعم.. دعم منهجي!

طريق التعلم لا يحتاج إلى تفتيش، وإنما يحتاج فقط إلى تحفيز ودعم.

وبدأ الدعم المنهجي...

ما القراءة المنهجية؟

هي قراءة تأملية ومنظمة لقول مكتوب، تتوسل بأفضل المنهجيات والتقنيات، بهدف فهم المقروء، وإعطائه معنى ذاتيا، وإعادة تنظيم المعرفة الذاتية على ضوئهما.

فهم المقروء، فبناء المعنى الذاتي، ثم إعادة تنظيم البنية المعرفية الذاتية.. إنه طريق لولبي صاعد!

## الفرامل والمُسَرِّع

**جبناء.. إنهم جبناء.. لا يملكون شجاعة تطبيق ما تعلموه.**

للمكان عند مدخل الطريق الجبلي الصاعد رائحة وصوت.. رائحة هذه الأشجار مختلفة كليا عن رائحة الخشب المقدس للطاولات المدرسية، وصوت هذا الجبل مختلف كليا عن صمت المدرسة. حتى الطريق الذي سلكناه كان مختلفا كليا عن طريق المدرسة؛ طريق المدرسة يقود إلى الليسانس والماجستير والدكتوراه والوظيفة، أما هذا الطريق فيقود إلى حب الكتاب وعشق القراءة والحس المنهجي والفهم والمعنى والوعي الذاتي والحس النقدي والعمل والحرية.

توجهنا إلى أحد أفراد طاقم الدعم المنهجي وسألناه..

- لماذا الدعم المنهجي؟

لأن إشعاعات المعنى تُعْمي.

- وما نوع الدعم الذي تقدمون؟

أنتم الآن في بداية الطريق، وكل ما تحتاجونه في هذه المرحلة هو معرفة "**حلقة التعلم الصغرى**"، ومعرفة كيفية استخدامها بذكاء .

- وما حلقة التعلم الصغرى!؟

التطبيق والفهم والتذكر و...

- لا يا سيدي هذا سلم التعلم المعرفي.. هذه العمليات العقلية الدنيا من سلم التعلم المعرفي.. وقد تعلمنا هذا السلم في المدرسة، وأشبعناه حفظا وفهما وتطبيقا في الكثير من المواد الدراسية.. ثم إنك قلبت السلم رأسا على عقب، والسلم هو: التذكر فالفهم ثم التطبيق.

المدرسة ! هذه الآلة الصدئة التي تحول التجارب الحية إلى مفاهيم ومبادئ وأدوات محنَّطة.

والناس ! الناس للأسف لا تبحث عن المعلمين الحقيقيين خارج المدرسة والجامعة، ولا تطرح الأسئلة الحقيقية وهي تتعلم، ولا تبحث عن مفاهيم ومبادئ وأدوات التعلم، وإن وجدتها أساءت فهمها واستخدامها. للَّه درّك يا بلوم، عِلْمُك مادة ثمينة لا تستسيغها الأدمغة الراكدة.

لا يمكن لعملية التعلم أن تكون خطية، التعلم يتم في حلقات دائرية، وحلقة التعلم الصغرى هي إحدى هذه الحلقات التي ستساعدكم في رحلتكم .

وككل بداية بدأت الحاجات تعبر عن نفسها:

- أعاني من صعوبة في تذكر ما قرأت.

- أحفظ ماذا؟ وأتذكر ماذا؟

- ماذا يفعل من كانت ذاكرته ضعيفة؟

- هل الفهم يغني عن الحفظ؟ أو لابد منهما معا؟

- أعاني من صعوبة في الفهم.

- لا أفقه شيئا في الكتب الفلسفية.

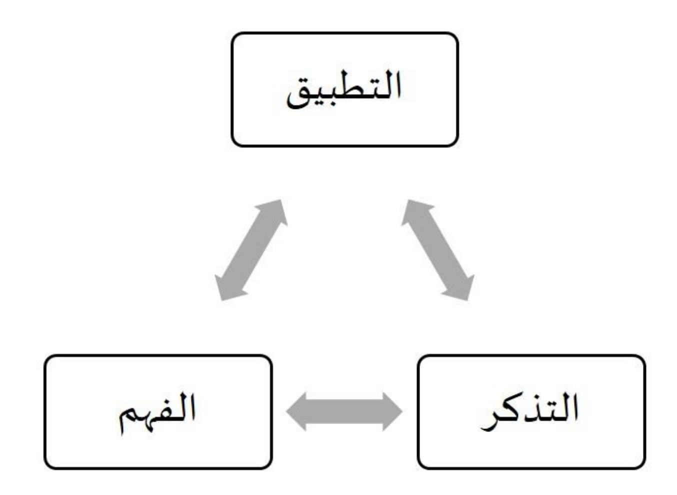
- كنت دائما سيئا في اختيار وقراءة كتب التنمية الذاتية.

- الكتب الإدارية تستهويني لكن أجد صعوبة في فهمها.

هكذا يشخصون حاجاتهم.

الكل يتحدث عن مشاكل التذكر والفهم، لكن لا أحد يسأل عن الحاجة إلى خوض التجربة الشخصية وتطبيق ما تعلمه.

جبناء.. إنهم جبناء.. لا يملكون شجاعة تطبيق ما تعلموه. يسألون عن حلول لمشاكل التذكر والفهم، لكن لا أحد يسأل عن الحاجة إلى خوض تجربة شخصية وتطبيق ما تعلمه.. يسألون عن الفرامل، لكن لا أحد يسأل عن المُسَرِّع .يسألون عن الحلول السهلة، لكن لا أحد يسأل عن الحل الفعال لمشاكل التذكر والفهم: طَبِّق ما قرأته.. عش تجربة شخصية. عندما تُطَبِّق ما قرأته تفهم، وعندما تفهم تستغني عن الذاكرة؛ لأن الخبرات تسكن في الجسد لا في الذاكرة.




حلقة التعلم المعرفي الصغرى

## زمن القراءة

**إن وسيلتنا الفعالة للقراءة المنهجية هي اختراق كل الأزمنة.**

هدف القراءة المنهجية هو التعلم وليس الفهم فقط. الفهم هو بحث عن المعنى، أما التعلم فهو، في حده الأدنى، إدراك للمعنى وتطبيق لمقتضياته وتسكين للخبرة المكتسبة منهما في ذاكرة الجسد. لكن كيف يتعلم القارئ؟

تمثل علاقة القارئ مع الزمن عنصرا أساسيا في تعلمه؛ لأنها تؤثر بشكل كبير في طريقة تلقيه للمعنى وللأمر. وينقسم زمن القراءة إلى أربعة أقسام، لكل قسم منها علاقة مع عملية عقلية:

- التعلم في الزمن الماضي، وآليته الحفظ.
- التعلم في الزمن الحاضر المباشر، وآليته الفهم.
- التعلم في الزمن المستقبل، وآليته التطبيق.
- التعلم في زمن الأمر، وآليته التجربة الشخصية.

وتمثل آلية التعلم التي يميل القارئ إلى استخدامها مؤشرا جيدا لفهم شخصيته، وانتمائه الزماني، ومنهجه في القراءة، وحظوظه في التعلم من القراءة المنهجية، وبيان ذلك كالآتي:

**- أولا: قارئ الذاكرة**

يتقيد هذا القارئ بالكلمات والعبارات بشكل حرفي؛ أي يقرأ بمرجعية الذاكرة (ذاكرة الأشخاص والأحداث والمعاني). إنه القارئ الذي يعيش طويلا في الماضي وعليه .وتمثل القراءة بمرجعية الذاكرة أدنى مستويات الفهم القرائي .

وقارئ الذاكرة نوعان: قارئ يعيش في الماضي بذاكرة راكدة؛ وهو قارئ يمكنه القراءة من ذاكرته لكن لا يمكنه الكتابة عليها. وقارئ يعيش بين الماضي والحاضر بذاكرة متفاعلة؛ وهو قارئ يمكنه القراءة من ذاكرته والتعديل عليها حسب نتائج الفهم، وبالتالي فهي ذاكرة متفاعلة مع ملكة الفهم تؤثر فيها وتتأثر بها.

إن القراءة بمرجعية ذاكرة المعاني كالقيادة بالفرامل؛ لا نقود بدونها، ولكن من الخطأ أن نقود بها. وأكثر الناس قراء ذاكرة؛ لأن أكثر الناس يحلمون بالعودة أكثر مما يحلمون بالرحيل.

**- ثانيا: قارئ الفهم**

عندما يخرج قارئ الذاكرة من الماضي، يتحرر من سلطة الذاكرة، وينفتح على ما يتيح الحاضر المباشر من إمكانات غنية في الفهم تعجز ذاكرة المعاني عن توفيرها. إن قارئ الفهم هو القارئ الذي يستمتع بفهم اللحظة، ويستفيد منه، بربطه أفكار الكتاب وأحداثه وشخصياته بأفكار وأحداث وشخصيات واقعه المباشر. تطور ملحوظ، لكن برغم ذلك لا تزال رحلة تحسين أداء القراءة المنهجية طويلة.. عندما ننتقل من التعلم

القائم على الحفظ إلى التعلم المبني على الفهم، نكون قد خرجنا من القيد الأكبر للمعاني المتفاعلة مع واقعها، إلى القيد الأصغر للمعاني المتفاعلة مع واقعنا.

**- ثالثا: قارئ التطبيق**

لا بد في مرحلة من مراحل تحسين أداء القراءة المنهجية من التحرر من سلطة القيدين الأكبر والأصغر، والانفتاح على المعاني المتفاعلة مع مستقبلنا التي تتولد مع إرادة التطبيق. إن التعلم بالتطبيق كالقيادة بالمُسَرِّعِ، وعندما نطبق نفهم، وعندما نفهم نستغني عن الذاكرة.

**- رابعا: قارئ التجربة الشخصية**

يترتب على الاستخدام المنفرد لكل من آليات الحفظ أو الفهم أو التطبيق سلبيات؛ فالحفظ يسجن وعينا في الماضي، والفهم بمرجعية الحاضر المباشر يسجن وعينا في الحدود الضيقة للهُنا والآن، والتطبيق يضعنا في وضعيات تعليمية قد تكون أقرب إلى الواقع لكن حتما ليست هي الواقع الحي. لذلك نحتاج إلى تفعيل دورة التعلم المعرفي الصغرى بشكل كامل مع الانفتاح على مدرسة الحياة.

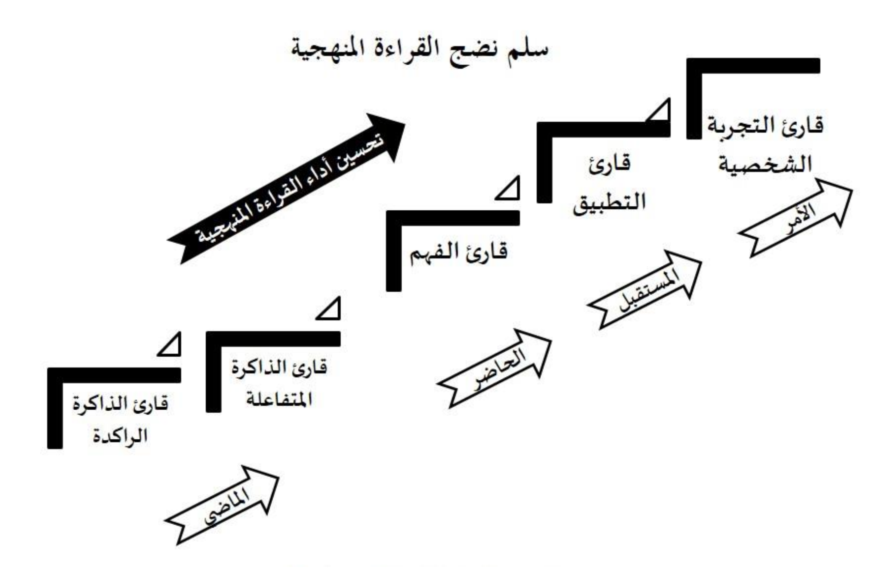
إن الماضي والحاضر والمستقبل والأمر حقيقة واحدة؛ هو التاريخ بأبعاده المتعددة والمتكاملة، وهي الحياة الحقيقية بدمها ولحمها ومشاعرها وأفكارها ومصالحها وصراعاتها. والتحرر من سلطة القيدين الأكبر والأصغر وحدود "التعلم المدرسي" لا يعني الاستغناء عن الحفظ والفهم والتطبيق واستبدالهم بالتجربة الشخصية، بل يعني استبدال

الفهم العميق المتولد عن معطيات التجربة الشخصية الحية بالفهم المحدود المتولد عن معطيات النظر العقلي المجرد، واستبدال تسكين الخبرات في ذاكرة الجسد بتخزين المعلومات في ذاكرة الدماغ.

توجد إذن خمسة مستويات من القراءة المنهجية تقابلها خمسة أنواع من القراء:

- قارئ الذاكرة الراكدة.
- قارئ الذاكرة المتفاعلة.
- قارئ الفهم.
- قارئ التطبيق.
- قارئ التجربة الشخصية.

إن وسيلتنا الفعالة للقراءة المنهجية هي اختراق كل الأزمنة، وذلك عن طريق الجمع بين قوة الذاكرة وقوة الفهم وقوة التطبيق (النقل والعقل والإرادة)، وبين الدخول في "حقل" المواجهة والتجربة الشخصية؛ فنحن عندما نقرأ بمرجعية الذاكرة ننسى، وعندما نقرأ بمرجعية الحاضر المباشر نتذكر، وعندما نقرأ بمرجعية التطبيق نتعلم، وعندما نقرأ بمرجعية التجربة الشخصية نقترب.


سلم نضج القراءة المنهجية
تحسين أداء القراءة المنهجية
قارئ التجربة الشخصية
قارئ التطبيق
قارئ الفهم
قارئ الذاكرة المتفاعلة
قارئ الذاكرة الراكدة
الماضي
الحاضر
المستقبل
الأمر

## عاداتنا العقلية

**القراءة المنهجية هي عاداتنا العقلية في القراءة.**

إذا كان المنهج هو عادات العقل، فإن القراءة المنهجية هي عاداتنا العقلية في القراءة. والعادات العقلية للقارئ إما إيجابية تجعل رحلة القراءة ممتعة ومفيدة وفعالة، أو سلبية تجعل الرحلة مضيعة للجهد والوقت أو ذات عائد منخفض. فيكون السؤال الذي يجب طرحه هنا هو: ما هي المعارف والمهارات والقيم التي يحتاج القارئ إلى التسلح بها في رحلته لتطوير عادات عقلية إيجابية في القراءة؟

على طول المحطات الأربع لرحلة القراءة المنهجية، يحتاج القارئ، في كل محطة، معارف ومهارات وقيما خاصة.. إنها خبرات تحتاج إلى زمن وصبر على تعلمها، عبر رحلة طويلة وشاقة، يتقدم كل قارئ فيها وفق استعداداته وعاداته العقلية على سلم تحسين أداء القراءة المنهجية. وفي هذه الرحلة من النادر جدا أن يعود القارئ سالما.

## عادات التذكر

**من يملك ذاكرة ضعيفة، يكرر نفس الأخطاء.**

المحطة الأولى في رحلة القراءة المنهجية التذكر؛ وهو القدرة على تخزين معلومات الكتاب ومعارفه وحكمته في الذاكرة، أثناء وبعد القراءة، ثم استرجاعها وقت الحاجة إليها. في هذا المستوى يحتاج القارئ إلى تطوير عادات التذكر التالية:

- معرفة قوانين اشتغال الذاكرة.
- معرفة الحد الأدنى المطلوب تذكره حسب نوع الكتاب المقروء: أدبي أو علمي أو فلسفي؛ إذا كان الكتاب روايةً مثلا نُفَعِّل ذاكرة الشخصيات والأحداث والأمكنة والأزمنة والخطاب، وإذا كان الكتاب فلسفيا نُفَعِّل ذاكرة الأسئلة والمفاهيم والحجاج.. وهكذا.
- معرفة طرق وتقنيات التذكر، ومنها تقنية إيجاد روابط التذكر.
- معرفة الفروق بين تذكر محتوى الكتاب، ومنهج مؤلفه في التفكير، ومنهجه في التعبير، وحكمة الكتاب.
- تذكر المحتوى المعرفي الرئيسي للكتاب؛ مثلا: الموضوع، والمشكلة، والحل.

- استخدام بنية الخطاب، وخطة الكتاب لتسهيل عملية التذكر.
- حفظ الجهاز المفهومي للكاتب.
- تذكر منهج المؤلف في التفكير والتعبير. وهنا يحتاج القارئ ابتداء إلى معرفة مناهج التفكير والتعبير بشكل عام.
- تذكر حكمة الكتاب.
- التحرر من الذاكرة الراكدة التي نقرأ منها فقط ولا نستطيع أن نكتب عليها.
- تطوير الذاكرة التفاعلية؛ فما يتم تخزينه قابل للتعديل على ضوء ما يعطيه الفهم والتطبيق والمواجهة.

## عادات الفهم

**صفات الفهم الجيد هي: الوضوح والدقة والبساطة، لكن لا نصل إليها إلا بعد معاناة فكرية.**

بعد محطة التذكر يأتي الفهم. وهو القدرة على إدراك المعنى والرهان وبناء المعنى الذاتي وإعادة تنظيم البنية المعرفية الذاتية. في هذا المستوى يحتاج القارئ إلى تطوير عادات الفهم التالية:

- الاستخدام الصحيح لذاكرة المعاني.
- الاستخدام الذكي للمعجم عند الحاجة.
- التحرر من حدود الفهم بمرجعية ذاكرة المعاني.
- معرفة مراتب القول الثلاثة: اللفظ والجملة والنص.
- مهارة فهم الألفاظ بنوعيها: المفهوم والاستعارة.
- مهارة فهم الجمل بنوعيها: التعريف والتمثيل.
- مهارة فهم النصوص بنوعيها: الدليل والتخييل.
- مهارة الانتقال بين العبارة والإشارة.
- مهارة المقارنة بين الأفكار والأحداث والأشخاص.
- مهارة الربط بين الأفكار والأحداث والأشخاص.

- إدراك الأسباب والنتائج.
- إدراك رهان الكاتب.
- تطوير الوعي بالصراع المعرفي وآليات الخروج منه (الاستيعاب والملاءمة).
- اعتبار مبادئ الفهم الملائم: السياق، والشمولية، وتعدد الأبعاد، والتركيب، والتعقيد، والمهارة العامة، والمشاكل الجوهرية، والتناقض، والاختزال.
- بناء المعنى الذاتي.
- إعادة تنظيم البنية المعرفية الذاتية.

## عادات التطبيق

**يجب أن تعاني لكي تفهم المعاناة.**

المحطة الثالثة هي التطبيق، وهو الاستخدام العملي لنتائج الفهم. العلم والعمل يشكلان معا حلقة واحدة؛ فالعلم إمام العمل، والفهم الذي يمنحه العلم يُعَدِّله التطبيق ويُغْنيه. في هذا المستوى يحتاج القارئ إلى تطوير عادات التطبيق الآتية:

- الوعي أولا بأن التطبيق هو إحدى صيغ استخدام مخرجات الفهم لا الصيغة الوحيدة.
- الوعي بأن للتطبيق نوعين من المدخلات: معارف الفهم النظرية، ومهارات التطبيق العملية؛ كمهارة التركيب، والقرار، والاستخدام، والفعل .
- التحرر من حدود الفهم وسلطته، والانفتاح على تدقيق الفهم والمزيد منه من خلال التطبيق.
- وجود حاجة لدى القارئ إلى استخدام معارف الفهم (مشكلة تحتاج إلى حل مثلا).
- التدرج في التطبيق من استخدام الوضعيات التعليمية البسيطة إلى المركبة والمعقدة.

- الوعي بحدود الوضعيات التعليمية المدرسية.
- استخدام الوضعيات الحياتية الحقيقية في التطبيق؛ لأنها تعطي نتائج أفضل من نتائج استخدام الوضعيات التعليمية المدرسية.
- مهارة تركيب معارف الفهم.
- مهارة تحليل المشكلات.
- مهارة حل المشكلات.
- مهارة صناعة القرار.
- الاعتقاد في فعالية الخطأ ودوره في التعلم الفعال.

## عادات المواجهة

**الوجود حرب كلمات، والسيطرة فيه تؤول لمن استطاع أن يسمي الأشياء ويفرض كلماته.**

المعاني ليست مجرد موضوعات فكرية للمتعة أو التخزين أو الفهم أو التطبيق، بل هي أدوات للمواجهة. والكلمات ليست مجرد أقوال بريئة ومُحايدة، بل هي أوامر وأفعال. وعليه فإن القراءة المنهجية هي تنهيج للقراءة بوضع المعنى داخل حقل المعاني، والأمر داخل حقل الأوامر، والتعاطي مع المعنى والأمر ضمن حقل صراع المعاني والأوامر، واستخدام قواعد لعبة الكلمات لتسمية الأشياء وفرض المعاني وتحقيق السيطرة. في هذا المستوى يحتاج القارئ إلى تطوير عادات المواجهة التالية:

- التحرر من طلب المعنى لذاته، ومن غيبوبة "أنا أقرأ إذن أنا موجود."
- الوعي بالفروق النوعية بين استخدام معارف الفهم النظرية في التطبيق، وبين الدخول في حقل صراع المعاني والأوامر.
- الوعي بأن الوجود حرب كلمات، وبأن السيطرة فيه تؤول لمن استطاع أن يسمي الأشياء ويفرض كلماته.
- امتلاك رؤية شخصية للذات والعالم والعمل.
- امتلاك رهان شخصي للدخول في اللعبة.

- ربط الرهانات بالمصالح، والوعي بأن المصالح، لا المشاعر أو الأفكار، هي الطاقة المحركة للصراع.
- إرادة تحويل القول إلى فعل، وامتلاك حس المواجهة والصراع.
- امتلاك أسلحة المواجهة الفكرية: تحليل ونقد الخطاب، بناء الخطاب، وضع الأسئلة ونقدها، الاستشكال، بناء المفاهيم ونقدها، طرق وتقنيات الحجاج، الأسلوب..
- وضع المعنى داخل حقل المعاني، والأمر داخل حقل الأوامر، والتعاطي مع المعنى والأمر ضمن حقل صراع المعاني والأوامر .
- معرفة قوانين اشتغال الحقل الثقافي وقواعد اللعب فيه.
- معرفة اللاعبين ومواقعهم واستراتيجياتهم في اللعب.
- القدرة على تحمل مخاطر اللعبة.
- الذكاء العاطفي: من يفقد التحكم في مشاعره يخسر المواجهة.
- أخلاقيات المواجهة والصراع الثقافي. توجد حدود أخلاقية للصراع.

## التجربة الشخصية

**أفضل وسيلة لاكتشاف منهجية القراءة هي تجربة القراءة نفسها.**

بدأ الإحساس بطول الرحلة ومشقتها يتسرب إلى عقول المغامرين ونفوسهم.. ومعه بدأت الدهشة تطفو، والشك يتسرب، والتساؤلات تتناسل.

- رحلة طويلة وشاقة..

- لم أكن أتصور أن الرحلة معقدة وشاقة إلى هذا الحد.

هل علينا أن نندهش من طول الرحلة ومشقتها، أم نشك في الطريق المنهجي الذي سلكناه، أم نتساءل عن جدوى المنهجية نفسها؟

- لا ينبغي أن نستسلم للأفكار المنهجية التي تصور القراءة رحلة طويلة ومعقدة وشاقة.

- الأفكار المنهجية مكرسة للباحثين والأكاديميين فقط.

هل يمكن للقارئ أن يعتمد على الكتابات التي توصف بالمنهجية، والتي تقدم وصفات جاهزة لتحسين الأداء القرائي؟

لا شك أن هذه الكتابات المنهجية قد تكون مفيدة للقارئ حين توضح له عاداته العقلية في القراءة، والتأثيرات التي تمارسها "دون علمه" على تذكره وفهمه وتطبيقه ومواجهته. إلا أنها تفتقد في معظم الأحيان إلى

الجوهري، أي إلى ممارسة القراءة بوصفها تجربة شخصية حية؛ فأفضل وسيلة لاكتشاف منهجية القراءة هي أن تعيش تجربة القراءة نفسها.

بين الممارسة المنهجية الأكاديمية العاجزة عن التعبير عما هو جوهري في تجربة القراءة، وبين النزعة التجريبية القائمة على الانصهار الانفعالي في تجربة القراءة ومعاداة المنهجية النظرية، توجد مسافة على **القارئ اليقظ** أن يحتلها.

## القارئ اليقظ

**العادات العقلية هي التي تدير اللعبة وتضع القواعد بطريقة أحادية الجانب ودون تفاوض مسبق مع القارئ.**

إن الحلم بقارئ مثالي يخفي عنا أن الفارق "المنهجي" لا يوجد بين قارئ بدائي وآخر متطور، بل يوجد بين قارئ يعيش تجربته الشخصية في القراءة دون وعي بطبيعة عاداته العقلية في القراءة وتأثيراتها، وقارئ يعيش نفس التجربة لكن بوعي تام بطبيعتها وتأثيراتها على القراءة والقارئ والمقروء. إن "**القارئ اليقظ**" يعي تمام الوعي أن العادات العقلية هي التي تدير اللعبة وتضع القواعد بطريقة أحادية الجانب ودون تفاوض مسبق مع القارئ.

إن الإنسان العادي يعتقد وجود الحرية المطلقة بدافع الرغبة، وهو بهذا الدافع يُحول بشكل لا واعي رغبته إلى معرفة. أما الباحث فيصف ما يلاحظه، وإذا وجد حتمية تتحكم في سلوك الناس قال بوجودها، حتى لو كان الناس ينتظرون منه أن يحدثهم عن وجود الحرية.

الحتميات موجودة في كل مكان، والعلوم كل يوم تكشف عن المزيد منها: حتميات فيزيائية، بيولوجية، نفسية، اجتماعية، تاريخية، سياسية، معرفية، لغوية.. والحرية ليست هي غياب الحتمية، بل هي الوعي بوجودها وبطريقة اشتغالها، وتطوير استراتيجيات ذكية للتحرر من مفعولاتها. عندما أعلن نيوتن عن وجود حتمية فيزيائية اسمها الجاذبية استخدم

بعض الناس قانون الجاذبية لإقناع أنفسهم باستحالة الطيران، وأنكر البعض الآخر وجود الجاذبية لرغبتهم في الطيران .أما " **القارئ اليقظ**" فاستخدم القانون بذكاء لصالحه وتمكن من الطيران.

قدرتنا على الطيران لا تعني أننا استطعنا إلغاء الجاذبية، وإنما تعني أننا استطعنا التحرر منها. لذلك عندما يعي القارئ أن عاداته العقلية هي التي تدير اللعبة وتضع القواعد يكون قد اكتشف وسيلته للتحرر.

## القراءة السريعة

**طريق مُمَيَّز لا يسلكه إلا الشجعان من عُشاق السرعة ومتعتها.**

ما هذا الطريق الطويل الذي قطعناه؟ تذكر.. فهم.. تطبيق.. مواجهة.. إنها مغامرة ممتدة بين ماضي كل واحد منا وحاضره ومستقبله. بدت هذه القطعة من الطريق مُمَيَّزة، إنها القطعة التي نعبرها مرارا في أذهاننا.

كان الطريق طويلا وشاقا.. تتخلله لحظات من الشك والتساؤل.. لكن رغم طول الطريق ومشقته وجدنا من الشجاعة ما يكفي لكي نتقدم نحو المرحلة الرابعة...

تذكرت قول باولو كويلو: "السفينة آمنة على الشاطئ، لكنها ليست من أجل ذلك صُنِعتْ..!" يجب أن نتابع المغامرة.. يجدر بنا أن نمتلك الثقة في ما نحن عليه.. من الضروري متابعة الرحلة.

على طول الطريق كانت هناك علامات خاصة بالحد الأدنى للسرعة المسموح بها:

- تمنع القراءة بسرعة تقل عن 200 كلمة في الدقيقة.
- تحتاج إلى القراءة بسرعة أعلى، مع الحفاظ على نفس مستوى الفهم.

طريق مُمَيَّز لا يسلكه إلا الشجعان من عُشاق السرعة ومتعتها، ومع ذلك بدا الاستغراب واضحا على ملامح البعض.. ممن يخاف دفع الغرامات.

- حد أدنى للسرعة..! هذا غير معقول.. كلنا نحتاج إلى إعادة قراءة نفس المقطع أكثر من مرة لتأكيد الفهم.

- بالفعل.. ما فائدة سرعة القراءة إذا ضاع الفهم.!؟

- لكننا في عصر السرعة والثورة المعرفية والتواصلية وهناك حاجة ملحة إلى القراءة السريعة.

- قرأت مرة أن جوليا كريستيفا كانت تقرأ ثلاثمائة كتاب في كل أسبوع.

- يا للهول..! كيف استطاعت ذلك.!؟

فجأة وجدنا أنفسنا بين طريقين؛ طريق صاعد على اليمين، وطريق نازل على الشمال. وعلى طول الطريق النازل اصطفت دكاكين للقراءة السريعة:

- Reading Dynamics
- FReader
- Super Lecture
- Photolecture

- Spritz

كانت بضاعة دكاكين "القراءة السريعة" مغرية.. فكل صاحب دكان يعرض بضاعته بوعود وردية..

- ستتمكن من قراءة كتاب بأكمله في عشرين دقيقة، مع ضمان استيعاب كامل.

- ستتمكن من رفع سرعتك في القراءة إلى 2000 كلمة في الدقيقة.

- ستتمكن من مضاعفة سرعتك في القراءة عشر مرات.

لم يقتنع الكثيرون بهذه الأحلام الوردية..

- أعتقد أن أبريل لا زال بعيدا..

- فزّورة!

-لم أقتنع بالقراءة السريعة رغم ما قيل عنها..

- يعني أن القراءة السريعة كذبة

- إنها عملية تسويق ابتزازية لبيع أكبر قدر ممكن من صكوك الغفران التي تتيح لمشتريها دخول جنات المكتبات..

-كل هذه الدورات عن القراءة السريعة مجرد خزعبلات!!!

إن حلم زيادة سرعة القراءة بدون حدود مجرد وهم. من المستحيل على أي بشر أن يقرأ 1000 أو 2000 كلمة في الدقيقة ويحافظ في نفس

الوقت على مستوى الفهم الذي نحصل عليه في العادة عند سرعة 200 أو 400 كلمة في الدقيقة.

يقرأ قارئ متوسط السرعة في العادة ما بين 200 و 400 كلمة في الدقيقة. وتبشر "القراءة السريعة" بإمكانية رفع هذه السرعة إلى 1000 و 2000 كلمة في الدقيقة وربما أكثر من ذلك بكثير. لكن أغلب تقنيات "القراءة السريعة" تجهل أن القراءة تقوم على عمليات ذهنية وبصرية ولغوية تجعل محاولات زيادة سرعة القراءة بدون حدود قصوى سعيا وراء السراب.

صحيح أننا في عصر السرعة والثورة المعرفية والتواصلية، وأن **هناك حاجة ملحة إلى القراءة السريعة، لكن السؤال هو: بأي معنى؟ وكيف؟**

## خيميائي القراءة السريعة

**لم نر، عبر تاريخ الخيمياء الطويل، خيميائياً حوَّل حجراً إلى ذهب.**

من منا لا يريد مضاعفة سرعته في القراءة، في زمن الثورة المعرفية والتواصلية؟

جمع غفير من الكتب الورقية والإلكترونية في طابور طويل تنتظر دورها لكي نقرأها.. إيميلات بالعشرات، بل بالمئات تغزو بريدنا الإلكتروني كل يوم.. منشورات وتعليقات ورسائل بالآلاف تحتل على مدار الساعة صفحاتنا الشخصية على الشبكات الاجتماعية والصفحات الأخرى التي نتابعها وتنتظر أن نقرأها كل صباح مع أول فركة عين وقبل طقوس النظافة الصباحية ووجبة الفطور.

في عصر السرعة والثورة المعرفية والغزو المعلوماتي هناك حاجة ملحة إلى القراءة السريعة، لكن السؤال هو: بأي معنى؟ وكيف؟

إن الذين يتحدثون عن الطرق والتقنيات الإبداعية للقراءة السريعة، وعن القدرات الخارقة للدماغ في الانتباه والتذكر والفهم ينتمون في الغالب إلى أشباه العلوم Parascience ، حيث نجد الاستخدام المفرط للادعاءات الغامضة، أو المبالغ فيها، أو غير القابلة للاختبار. أما الذين يمارسون العلم والبحث العلمي في القراءة السريعة فيميلون إلى البحث عن حدود عمل الدماغ، وحدود العمليات الذهنية والبصرية

المصاحبة للقراءة؛ لأن اكتشاف هذه الحدود يساعد على التحرر منها. فقد تحرر الإنسان من الجاذبية عندما اكتشفها.

إن ما يسمى ب "الطرق والتقنيات الخارقة" للقراءة السريعة ليست سوى وصفات سحرية عقيمة شبيهة بالأحجار الفلسفية التي يستخدمها الخيميائي لادعاء إمكانية تحويل الحجر إلى ذهب.

**أول هذه الأحجار الفلسفية** التي يُعَلِّمها خيميائي القراءة السريعة **حذف النطق الذهني للكلمات**. لكن علم النفس اللغوي يؤكد أن هذا الصوت الداخلي هو أول وأهم أداة نستخدمها لتعلم القراءة. وبعد أن نتعلم القراءة في صمت، يتحول الصوت إلى صورة صوتية مرتبطة ذهنيا بالمعنى. كما تؤكد الكثير من البحوث العلمية في مجال اللسانيات المعاصرة أن القارئ يتجه لكي يفهم إلى التعرف على الكلمة صوتيا مباشرة بعد أن يتعرف عليها بصريا. ثم إن الصورة الصوتية الموجودة في الذهن هي أحد طرفي المعنى، فلا يتصور وجود المعنى بمعزل عنها.

**ثاني الأحجار الفلسفية** التي يُعَلِّمها خيميائي القراءة السريعة **حذف رد الفعل الطبيعي نحو إعادة قراءة نفس المقطع عدة مرات** لربح بعض الوقت. هنا أيضا أكدت بعض الدراسات التأثير السلبي لهذه "التقنية الخارقة"؛ لأن رد الفعل الطبيعي نحو إعادة قراءة نفس المقطع عدة مرات هو آلية يستخدمها الدماغ عندما يُقَدِّر أن هناك حاجة لتصحيح الفهم. وقد بينت بعض البحوث أن هذا الرجوع لا يستهدف

فقط البحث عن معلومات بصرية جديدة، وإنما يستهدف أيضا متابعة المعالجة المعرفية لتحقيق الفهم الكامل.

**وثالث الأحجار الفلسفية** التي يُعَلِّمها خيميائي القراءة السريعة **توسيع المجال البصري للقراءة** للتمكن من قراءة المزيد من الكلمات . وينسى صاحبنا الخيميائي أن هذا التوسيع يكون في اتجاه مجال الرؤية المحيطية. والثابت علميا هو أن الرؤية المحيطية لا يمكن استخدامها لقراءة التفاصيل، التي هي من اختصاص الرؤية النقيرية. كما ينسى صاحبنا الخيميائي أن الرؤية النقيرية تبقى محدودة فيزيائيا، وبالتالي لا يمكن توسيعها دون تضييع الفهم.

لم نر، عبر تاريخ الخيمياء الطويل، خيميائياً حوَّل حجراً إلى ذهب. لذلك انسحبنا بهدوء من الطريق النازل على الشمال، لا وقت لدينا نضيعه مع أحجار الخيميائي الفلسفية، وتابعنا رحلتنا على الطريق الآخر الصاعد يمينا.

## مهمة معقدة ولعبة خطرة

**إن القارئ يلعب ضد لاعبين من العيار الثقيل، أحدهما مهاجم شرس (الكاتب)، والثاني صانع ألعاب ماكر (اللغة).**

إن القراءة مهمة معقدة. أولا لأنها ليست مهارة طبيعية كالمشي، ولا هي غريزة طبيعية كالكلام. إنها ممارسة مناقضة للطبيعة المعرفية للدماغ؛ لأنها تقوم على عمليات ذهنية وبصرية ولغوية معقدة ومتزامنة، وتتطلب جهدا ومجاهدة وصبرا وزمنا لتعلمها. وثانيا لأنها ممارسة رمزية، هدفها تحقيق تحكم رمزي، على موضوع رمزي، بأدوات رمزية.

والقراءة، بالإضافة إلى كونها مهمة معقدة، هي لعبة خطرة. أولا لأن القارئ يلعبها ضد لاعبين من العيار الثقيل، أحدهما مهاجم شرس (الكاتب)، والثاني صانع ألعاب ماكر (اللغة). وثانيا لأنها تعرض حياة القارئ للخطر؛ فمع كل كلمة أو جملة أو نص ينشأ صراع معرفي لدى القارئ يهدد بتدمير بنيته المعرفية. إن القارئ يواجه باستمرار أفكارا قاسية تفقده أوهامه. وثالثا لأنها صراع، وتتم في حقل صراع، ويحتل القارئ موقعا في هذا الصراع، أولا بصفته يملك رأس مال معين، معرفي ولغوي وثقافي، وثانيا بصفته يملك رهانا شخصيا في ممارسته للقراءة، أي للصراع.

القراءة إذن مهمة معقدة، ولعبة خطيرة، ورغم ذلك تابعنا السير بكل شجاعة، وسلكنا الطريق الصاعد يمينا، وهناك كنا على موعد مع مهمة أعقد، ولعبة أخطر، تسمى **معادلة القراءة السريعة**.

## معادلة القراءة السريعة

**لكي تقرأ بسرعة تحتاج إلى الاستعدادات الذاتية العميقة، والرساميل الثلاثة، مع البنية التحتية الداعمة.**

لا يمكن "للتقنيات الخارقة" لخيميائي القراءة السريعة أن تحول الحجر إلى ذهب، ولا للإرادة الطيبة أو النية الحسنة أن تصنع من سفراء نوايا حسنة قراءً محترفين. نحتاج إلى التساؤل والبحث عن عوامل لها طابع العِلَّة المُحَرِّكة أو الفعالة، تفسر لنا سرعة القراءة وجودتها.

إن سرعة القراءة، كسرعة القيادة، تتناسب طرديا مع "الحالة الميكانيكية" للقارئ، والبنية التحتية لمحيط القراءة؛ فالقارئ السريع هو قارئ محترف، يملك الاستعدادات الذاتية العميقة، والرساميل الثلاثة الضرورية للدخول إلى عالم القراءة بقوة، وتتوفر لديه البنية التحتية الخاصة بالقراءة السريعة، أما القارئ البطيء فلا يمتلك سوى إرادته ونواياه الحسنة.

إن معادلة القراءة السريعة هي:

**سرعة القراءة** = [الاستعدادات الذاتية العميقة x (الرأسمال المعرفي + الرأسمال اللغوي + الرأسمال الثقافي)] + البنية التحتية لمحيط القراءة

ثلاثة عوامل رئيسية تتحكم في سرعة القراءة وجودتها:

**أولا: الاستعدادات الذاتية العميقة**

- **الشغف**. هل تمثل القراءة قضية في حياتك تعيش وتضحي من أجلها؟
- **والمثابرة**: هل القراءة سلوك يومي وعادة في حياتك؟ وهل تملك من طول النفس ما يمكنك من متابعة مشاريعك القرائية حتى النهاية؟
- **والإحساس بالمسؤولية**: هل توازن بين حقوقك وواجباتك القرائية؟

إن بناء هذه الاستعدادات الذاتية العميقة هو البداية الصحيحة. ودعك من الطريق النازل على الشمال، دعك من خطاب الأحلام الوردية، و"السلوك" الذي تتوتر الذات فيه بسرعة بمفعول استراتيجيات الوصفات الجاهزة والتحفيز السريع ثم تنطفئ بسرعة أيضا. إن "تربية" استراتيجيات الوصفات الجاهزة والتحفيز السريع مثل الغربال، يتآكل يومياً، وفي وقت ما يتحوَّل الغربال إلى طارة تدحرجها العادة من جديد.

## ثانيا: الرساميل الثلاثة

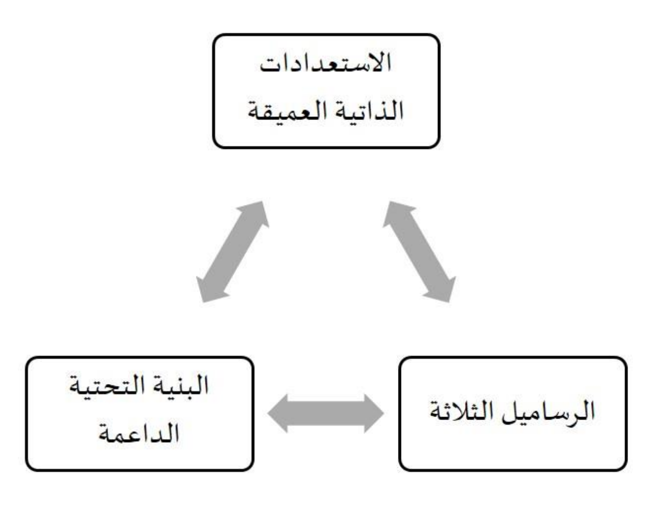
- **الرأسمال المعرفي**: يمنح القارئ القدرة على القيام بالعمليات المعرفية الضرورية لتحقيق الفهم الجيد والسريع.
- **الرأسمال اللغوي**: يتيح للقارئ التعرف على الكلمات ومعانيها بسرعة.
- **الرأسمال الثقافي**: يجعل موضوعات القراءة مألوفة لدى القارئ. لكي تفهم كاتبا بسرعة يجب أن تكون مسلحا بكل منجزات أسلافه من الكُتّاب.

## ثالثا: البنية التحتية لمحيط القراءة

إن وجود قارئ ضمن شبكة قوية وواسعة من القراء المحترفين، مع مصادر قوية للتعلم، ومكتبات رصينة، وقواعد بيانات ومعلومات محدثة، ووسائل اتصال سريعة ومتطورة، وطرق سريعة وذكية للبحث هو العامل الثالث المكمل لمثلث القراءة السريعة والجيدة. إن جوليا كريستفا التي كانت تقرأ ثلاثمائة كتاب في الأسبوع كانت تفعل ذلك بصفتها باحثة محترفة في مؤسسة قوية للبحث العلمي. يحتاج القارئ المحترف، إذن، لتسريع قراءته إلى:

- **شبكات باحثين** قوية وواسعة.

- **مصادر للبحث والتعلم** قوية: مكتبات رصينة، وقواعد بيانات ومعلومات محدثة.
- **وسائل اتصال** سريعة ومتطورة.
- **طرق للبحث** سريعة وذكية.




معادلة القراءة السريعة

هذه هي العوامل المتحكمة في القراءة السريعة والجَيِّدة. وعندما حملنا هذا السؤال إلى المغامرين معنا في هذه الرحلة المثيرة، كانت إجاباتهم كالتالي:

- **القدرات المعرفية** بنسبة 38٪: ذكر المشاركون هنا التركيز والاستيعاب والفهم.

- **تقنيات القراءة السريعة** بنسبة 27٪: ذكر المشاركون هنا العين والصمت ووجود هدف والتدريب والتحكم في تقنيات القراءة السريعة بشكل عام.
- **استعدادات ذاتية** بنسبة 15٪: ذكر المشاركون هنا الشغف المعرفي والعادة والفضول وحب معرفة ما سيأتي.
- **الرأسمال اللغوي** بنسبة 15٪: ذكر المشاركون هنا المستوى اللغوي للقارئ وإتقان اللغة.
- **الرأسمال الثقافي** بنسبة 5٪: ذكر المشاركون هنا المعارف السابقة.

## معاني القراءة السريعة

**لا ينفع في العتمة إلا ضوء المعاني الواضحة والدقيقة.**

إن عبارة "القراءة السريعة" يمكن أن تُحْمَل على معاني متعددة، لذلك علينا أن نتساءل: بأي معنى تصح القراءة السريعة؟ وكيف؟

إن القراءة السريعة لا تصح إلا بمعنيين:

- **قراءة الفرز والانتقاء**.
- **وقراءة متخصص محترف** يملك الاستعدادات الذاتية العميقة، والرساميل الثلاثة، والبنية التحتية الداعمة.

إن نمط القراءة يختلف حسب نوع الفهم الذي يبحث عنه القارئ؛ فإذا كان القارئ يبحث عن موضوع بعينه فسينتقل إلى الفقرة أو الفصل المتعلق به مباشرة. وبالتالي فإن مهارة القراءة السريعة، في هذه الحالة، ليست سوى مسألة فرز وانتقاء لما نبحث عنه.

إن "قراءة الفرز والانتقاء" كافية وفعالة عندما يكون الهدف هو الفهم الإجمالي، كما هو الوضع في حالة قراءة رسائل البريد الالكتروني والنصوص القصيرة. لكن عندما يكون الهدف هو قراءة نصوص طويلة جدا، وبأسرع وقت، مع تحصيل فهم عال جدا منها، فإن العلم في هذه

الحالة لا يملك إلا **حلاً واحداً**: الاستعدادات الذاتية العميقة، والرساميل الثلاثة، مع البنية التحتية الداعمة.

## استراحة

**إنهم بحاجة فعلا إلى استراحة، خالية من إفساد الأحوال، لتعويض ما فقدوه من متعة الغيبوبة السعيدة.**

اصطبغ الأفق باللون الأحمر، ثم غابت الشمس. كان الجميع منشغلا بتأمل ما مَرَّ من الرحلة وما بقي منها..

- يبدو أننا انتهينا من المستويات القرائية الدنيا..

- أربع محطات..! لا أصدق أننا قطعنا كل هذا الطريق الطويل والشاق: القراءة الإجبارية.. ومتعة القراءة.. والقراءة المنهجية.. والقراءة السريعة..

- ألا ترون أننا بحاجة إلى استراحة قبل متابعة الرحلة؟

انتبه الجميع، عندئذ، أنهم بحاجة فعلا إلى استراحة، خالية من إفساد الأحوال، لتعويض ما فقدوه من متعة الغيبوبة السعيدة..



# الجزء الثاني

## المستويات القرائية العليا



## الصبر والزمن

كان أحمد يدير حديثاً مع أحد المشاركين في الرحلة:

- لو سألت إخوانك كم كتاب يقرأون في السنة فسوف تصدم صدمة لولبية.

فهم أحمد المغزى: الإخوة المقصودون "لا يحبون القراءة"، مجرد القراءة، وأحمد يحكي قصة المستويات القرائية العليا: القراءة الموسوعية، والقراءة الناقدة، والقراءة اللولبية!

- ومما يزيد الأمر غرابة أنهم يقتنون الكتب، ويحرصون على شرائها، ويمتلكون "خزانات مخيفة" في بيوتهم!

كم هو مُحزن حقاً وغريب أن نُضَيّع فرصة ساعة في اليوم نجلس فيها بيننا وبين أنفسنا مع كتاب نتعلم دروس الثلاثة آلاف سنة الأخيرة في أهم مدرسة بعد مدرسة الحياة، ويمكننا أن نقول أشياء كثيرة لقياس المسافات الفلكية التي تفصل الكثير من أصحابنا عن القراءة، ومع ذلك لا يحق لنا أن نُصْدَم، لأن بناء المتعة وتوضيح الرؤية يحتاج إلى **صبر وزمن**.

من يحاول أن يقنع راشداً لم يجرب متعة القراءة في طفولته بأهمية القراءة وفائدتها، كمن يحاول أن يقنع طفلا غرق مَساءً في أحداث قصة آسِرَة بأن عليه أن يقطع قراءته ويذهب إلى النوم.

## الاستعداد لمتابعة الرحلة

**نصف مثقف أشد خطورة من أمِّيّ.**

اسمه أحمد. عندما اصطبغ الأفق باللون الأحمر، وأشرقت الشمس، واستيقظ الجميع، فوجئوا بوجوده معهم.

- أنا أحمد.. ومهمتي مصاحبتكم بقية الرحلة.

قرأ الفتى أحمد في أعين الجميع رغبتهم الجامحة في متابعة الرحلة، ثم قال:

- ليس على الجميع متابعة الرحلة، ومن الذكاء أن تتوقف رحلة البعض منكم هنا..

اندهش الجميع من كلام أحمد.. فرغبتهم الجامحة في مستقبل قرائي أفضل بلا حدود.

تأمل أحمد دهشتهم قليلا، ثم تابع:

- عندما نستأنف الرحلة، ستتولد لديكم إعدادات واستعدادات جديدة من تجربة المستويات القرائية العليا، ولن يكون بالإمكان الرجوع إلى إعداداتكم واستعداداتكم السابقة.

- وما المشكلة في ذلك؟

- احتمال الإصابة بمرض "**نصف مثقف**".. **ونصف مثقف أشد خطورة من أمِّيّ**. في بقية الرحلة لا يرجع القارئ سالما إذا توقف في نصف الطريق، لكن إذا نجح في الوصول أَجَادَ وأَبْدَع.

تذكرت، وأنا أحاول استيعاب كلام أحمد، نجاح ألمانيا، بعد الحرب العالمية الثانية، في بناء قوة اقتصادية عظيمة، بالاستثمار في نظام تعليمي مهني متوسط، يركز على آخر سنتين في المرحلة الثانوية. كان المجتمع الألماني، ولا يزال، متفاعلا جدا مع هذا التعليم المهني المتوسط، الذي يمثل جزءاً أساسيا من الحياة في ألمانيا. وتذكرت بلادنا التي أخطأت الموعد مع التاريخ بالاستثمار في اللاتعليم الذي يتخرج منه جيش الأميين من جهة، والتعليم العالي الذي يتخرج منه جيش العاطلين وأنصاف المثقفين من جهة أخرى. وفهمت أن كفاءة متوسطة فاعلة، أفضل من كفاءة عالية عاطلة.

تابع أحمد بنبرة صارمة:

- على من سينهي رحلته هنا أن يتابع تحسين أدائه القرائي على متطلبات المستويات القرائية الدنيا، وعلى من سيتابع الرحلة معنا أن يكون جاهزا، وأن ينتظر بثبات الهجوم؛ ففي المراحل المقبلة سنواجه **كتب المنبع**. وفي هذه المواجهة سنحتاج إلى أسلحة جديدة مختلفة نوعيا عن أسلحة العمليات القرائية الدنيا؛ سنحتاج إلى الانتقال من التعامل مع المعرفة إلى التعامل مع المعرفة وأدوات المعرفة.

أنهى أحمد إجراءات رجوع الأذكياء، ثم طلب من المتبقين الاستعداد لمتابعة الرحلة.

## القراءة الموسوعية

**التخصص خيار استراتيجي والموسوعية ضرورة.**

هناك حكمة قديمة تقول: "**الطريق التي نقطعها لا تقل أهمية عن المكان الذي سنصل إليه**". وفي رحلة القراءة لا تمثل الطريق أهمية خاصة فقط، بل لا توجد أصلا محطة نهائية؛ فأن نقرأ هو أن نكون دائما في الطريق، وأن نستمتع بالطريق، وأن نعبر جميع مراحلها ومحطاتها، ونقتحم عقباتها، ونتابع الطريق.

تابعنا السير صوب السهول الواسعة الممتدة بلا أفق خلف جبال **العمليات القرائية الدنيا**.

- وأخيرا..!! انتهت رحلة الجبال!..

- لا تستعجل الأخبار السارة.. إنه "السهل" الممتنع.

إنها السهول الواسعة للقراءة الموسوعية. لكن هل لا زال للموسوعية مكان في زمن الثورة المعرفية والتخصص؟

وكالعادة يوجد معارضون ومؤيدون.

**انبرى المعارضون للموسوعية، المدافعون عن التخصص:**

- انتهى عهد الموسوعية.

- زمن الموسوعية ولى وعوضه زمن التخصص، ولا بأس بالإلمام بشيء آخر من باب الثقافة العامة.

- يصعب أن نتحدث عن الموسوعية في ظل التوسع في الاختصاص والتخصصات الدقيقة.

- سمة هذا العصر التطور السريع وتراكم المعرفة الانسانية بكل مظاهرها، فأصبح التوجه الحديث نحو معرفة كل شيء عن شيء (العلم)، بدل معرفة شيء عن كل شيء (الثقافة). فالموسوعية اليوم ترادف الثقافة، والعلم يرادف التخصص.

- لكل تخصص موسوعاته البشرية، والطلب على المتخصص (العالم)، وليس الموسوعي إلا مثقف. فتغير مفهوم الموسوعية، واقترن الاحتراف بالتخصص.

**ووقف أنصار الموسوعية لأنصار التخصص بالمرصاد:**

- التخصص في المعرفة كان خِطْئاً كبيرا في التاريخ العلمي.

- إن فكرة التخصص والدعوة إليه لهي من أطم الكذبات في التاريخ المعرفي لبني البشر على مر التاريخ.. نعم تلك الفكرة لما تمكنت بخيلها ورجلها وما أحدثته حولها سحرة فرعون من غشاوة وتلبيس وتدليس على ضعاف الايمان بما أودعه الخالق بالعقول من قوة الحفظ والفهم والاستيعاب وفعلت بها ما فعلت، أصاب الكلل العقول وتبلدت الأفكار

وانهزمت الهمم، فتقاعست عن الطلب وكبحت الطموح وركنت إلى البطالة.

- إن علماء كبارا سواء في العالم الاسلامي أو الغربي استطاعوا في فترة زمنية أن يمتلكوا صفة العالم الموسوعي، فإذا اطلعت على سيرة بعضهم تجده عالم شريعة وفيزياء وكيمياء ونحو ورياضيات ومنطق وفلسفة، مما ساعدهم على امتلاك الرؤية النافذة والكلية للمعارف والعلوم وتجاوز البلقنة والتقسيم.

**وفئة ثالثة احتلت المسافة الممتدة بين الموسوعية والتخصص:**

- التخصص بخلفية موسوعية.

- ضرورة التخصص في فن من الفنون المتاحة، ثم الاطلاع الدائم والنشيط والعميق والمستقيم في مختلِف حقول المعرفة الإنسانية. لا تحقرنّ من الفنون شيئاً.

- الموسوعية في زمن الثورة المعرفية والتخصص من الممكنات، إن أحسنا توظيف قدرات الإنسان وكفاءاته "الخارقة".

- كل تخصص له فروع وامتدادات، والعلم بمحيط التخصص أصبح أمرا مفروضا؛ فعمق التخصص في فهم محيطه.

للمعرفة اليوم وجهان في الاعتبار، هي عملة واحدة لا تكتمل قيمتها ولا يتم معناها إلا بهما: التخصص والموسوعية.

إن **التخصص خيار استراتيجي** في زمن الانفجار المعرفي والأبحاث التخصصية، لكن كيف نتحرر من حجبه المانعة من الرؤية الشمولية، ومن وضع القضايا داخل سياقها. كما أن **الموسوعية ضرورة**، لكن بأي معنى؟ هل هي "الموسوعية المعرفية "التي تهتم ببعد واحد من شخصية الإنسان؟ أم "الموسوعية المتوازنة" التي تهتم بكل أبعاد الذات الإنسانية؛ الروحية والأخلاقية والعقلانية؟ ثم ما فائدة موسوعية معرفية تهتم بالمعرفة لذاتها دون ربطها بالحياة؟

تأمل أحمد هذا النقاش البَنَّاء والهادف، وقال في نفسه: "كم هو جميل أن نتعلم الحوار الجاد والمفيد."

## ما المعرفة؟

**لكي لا تذهب جهود التنوير المعرفي في فوضى الغيبوبات السعيدة نحتاج لوضوح خط "المعرفة العلمية النافعة"**

قبل الحسم في الموقف المناسب من إشكالية التخصص والموسوعية نحتاج إلى إجابات واضحة ودقيقة وعملية عن ثلاثة أسئلة: **ما المعرفة؟ وكيف ننظم المعارف؟ ولأي هدف؟**

### أولا ما المعرفة؟

توجد ثلاثة تصورات للمعرفة:

- تصور سكوني للمعرفة في مستوى واحد: معرفة وكفى.

- تصور مستقطب للمعرفة في نمطين متناقضين: معرفة عادية، ومعرفة علمية.

- تصور حركي للمعرفة في سلم نضج الأداء المعرفي:

- الدرجة 0: شبه المعرفة.
- الدرجة 1: المعرفة العادية.
- الدرجة 2: المعرفة العلمية المجردة.
- الدرجة 3: المعرفة العلمية النافعة.

إن المعرفة مستويات، وتحصيلها يقتضي سلوكا على درجات سلم تحسين الأداء المعرفي. ودرجات هذا السلم، بدءا من أسفل السُلَّم وهو شبه المعرفة، وانتهاء إلى قمة السُلَّم ببناء المعرفة النافعة، هي بالترتيب:

- **الدرجة 0: شبه المعرفة**

استخدمت عبارة "أشباه العلوم" في بداية القرن العشرين من طرف المجتمع العلمي لتعويض عبارة "العلوم الغامضة" التي تبحث في القوى الخارقة للإنسان والطبيعة، وللإشارة إلى شبه المعرفة أو المعرفة الزائفة التي تدعي أنها علمية وتبدو ظاهريا علمية، لكنها في حقيقتها لا تنطبق عليها مواصفات العلم وخصائصه، ولا تتبع طرائق المنهج العلمي، ولا تخضع لقواعد قابلية الفحص المشروطة في المنهج العلمي، وتكون على تعارض مع الإجماع العلمي.

تعتمد أشباه المعارف على فرضيات غير قابلة للاختبار والدحض، وعلى الشهادات الشخصية والقصص النادرة، وعلى الاستخدام الانتقائي للأدلة.

من أمثلة أشباه العلوم: الطب الشعبي، والأبراج، والخيمياء، والبرمجة اللغوية العصبية، والجرافولوجيا، وقانون الجذب...

- **الدرجة 1: المعرفة العادية**

إن المعرفة العادية أو العامية هي نتاج آراء وأحكام شخصية وحسية وجزئية، تكتفي من معرفة الأشياء بأقل ما فيها من خصائص

تساعد على استعمالها لغايات عملية محدودة، بل يمكن القول بأن الإنسان العادي لا يملك معارف، وإنما يملك حاجات ورغبات يُحَوِّلها إلى "معارف."

- **الدرجة 2: المعرفة العلمية المجردة**

المعارف المجردة هي مجموع المعارف الموضوعية الموجودة بشكل مؤسسي خارج الذات؛ أي مجموع المعارف الإنسانية، أو المعارف المتعلقة بمجال معرفي محدد. وعندما تنتقل هذه المعارف إلى الذات بنفس الصورة المجردة؛ أي عندما تقوم الذات بتنظيمها نظريا وبشكل مستقل عن أي وضعية ضاغطة تعطي للمعلومات والخبرات معناها كحل، فمعنى هذا أننا أمام معارف ذاتية غير وظيفية.
إن أي معرفة لم يتم بناؤها ذاتيا، وفي مواجهة وضعية ضاغطة، ولم تستخدم لحل هذه الوضعية الضاغطة، هي معرفة مجردة؛ أي معرفة يحكمها منطق المؤسسة المنشغل بالصياغة والمصادقة، لا منطق الوضعية المنشغل بالفعل.

- **الدرجة 3: المعرفة العلمية النافعة**

إن مراكمة مجموعة من المعارف المجردة لا يُكَوِّن معرفة نافعة. المعرفة النافعة هي المعرفة التي يقوم الشخص ببنائها ذاتيا في تجربة البحث المثابر عن حلول لأسئلة الوضعيات الضاغطة انطلاقا من مكتسبات العلم البشري والخبرة الإنسانية.. إنها معارف شخص أو جماعة أو جيل، مكتسبة بالتجربة، أو القراءة، أو الملاحظة، أو التعلم،

بواسطة عملية البناء الذهني الذاتي للمعلومات والخبرات في وضعيات ضاغطة.

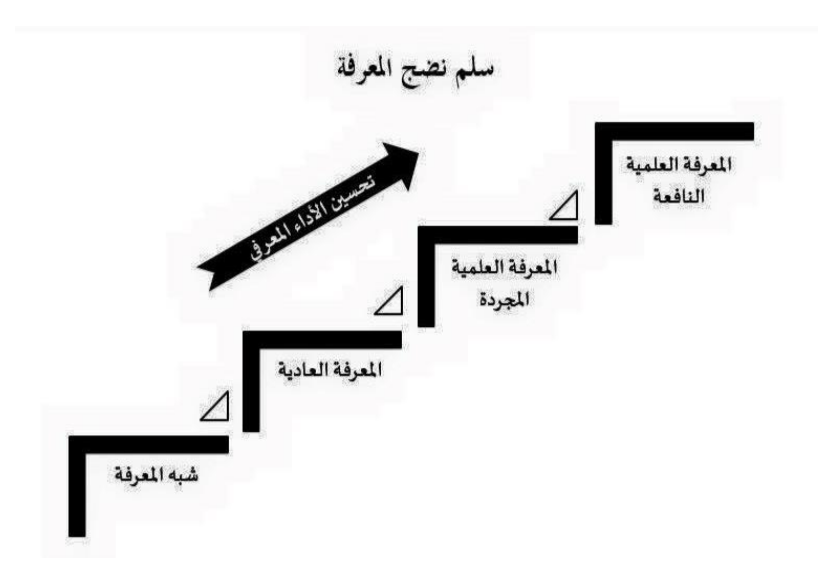
إن المعرفة في دلالتها الموضوعية المؤسسية هي مفهوم أو حقيقة أو عملية أو إجراء أو قاعدة توجد بشكل مستقل عن الذات العارفة، وتحصيلها بوصفها معرفة ذاتية نافعة يحتاج إلى عملية مستمرة من استيعاب وتنظيم المعلومات والخبرات. ولذلك فإن مراكمة المعلومات والخبرات لا يعطي معرفة نافعة. **إن المعلومات والخبرات لا وجود لها ولا تكسب معناها عند الشخص أو الجماعة إلا لأنها تمثل حلا مثاليا في وضعية ضاغطة. وعندما تصبح المعرفة والوضعية كل منهما دليلا إلى الآخرينشأ العلم النافع.**

عندما نتعرف على الدور الفعال للمعلومات والخبرات في الخروج من الوضعيات الضاغطة، ونستخدمها بنجاح في الحل، تكتسب هذه المعلومات والخبرات وظيفة **المعرفة العلمية النافعة**. وعندما نفشل في ذلك، لكن ننجح في تجريد المعلومات والخبرات وتنظيمها بشكل مستقل عن أي وضعية ضاغطة وعن الاستخدام العملي، تكتسب هذه المعلومات والخبرات وظيفة **المعارف العلمية المجردة**. وعندما نفشل في المهمتين تتلاشى فرصة بناء معرفة علمية، ويفسح الفراغ العلمي المجال لاستمرار **المعرفة العادية**.

إن المعرفة المجردة ليست سوى مفاهيم منظمة، أما المعرفة النافعة فهي معلومات وخبرات ثبت نفعها في وضعية ضاغطة

واستخدمت حلولا بنجاح. وهذه المعرفة النافعة هي التي تُؤَمّن التوازن بين الشخص ومحيطه، وتؤمن الحل الذي يُخرج الشخص أو الجماعة من الوضعية الضاغطة. وتشمل هذه المعرفة النافعة معرفة الشخص لذاته وللعالم وللعمل.

لقد عاش **جيل إكس x** (مصطلح يشير إلى الفئات التي ولدت ما بين أوائل الستينات إلى أوائل الثمانينات، ويستعمل هذا المصطلح في عدة مجالات منها الدراسات السكانية وعلم الاجتماع) في **غيبوبة "المعرفة المجردة" المتشائمة**. وها هو اليوم جيل الألفية أو "**جيل واي Y** " (مصطلح يشير إلى الفئات التي ولدت ما بين بداية الثمانينيات إلى سنة 2000) يعيش في **غيبوبة "شبه المعرفة" المتفائلة**. ولكي لا تذهب جهود التنوير المعرفي في فوضى الغيبوبات السعيدة نحتاج لوضوح خط "**المعرفة العلمية النافعة**."


سلم نضج المعرفة
تحسين الأداء المعرفي
المعرفة العلمية النافعة
المعرفة العلمية المجردة
المعرفة العادية
شبه المعرفة

## كيف ننظم المعارف ولأي هدف؟

**إن الوعي بالبعد الاجتماعي التاريخي لتنظيم المعارف شرط لوضوح خط المعرفة النافعة**

من الغيبوبات السعيدة التي تجعل جهود التنوير المعرفي تضيع سُدًى الاعتقاد في براءة المعرفة وموضوعية العلم والنوايا الحسنة للعلماء.

ليست المعرفة ثمرة جهود العلماء الحرة ونواياهم الطيبة فقط، إنما هي أيضا ظاهرة اجتماعية وتاريخية تحكم تطورها وتصنيفها وأهدافها قوانين اشتغال مختلف العوالم الاجتماعية. إن الوعي الاجتماعي التاريخي شرط لوضوح خط "المعرفة النافعة".

**كيف ننظم المعارف ولأي هدف؟ بل من يملك الحق في إنتاج المعرفة في شكلها المؤسسي وتصنيفها؟**

يعتبر **أرسطو** تاريخيا من الأوائل الذين صنفوا العلوم. فقد قسم العلوم الى ثلاثة أقسام:

- العلوم النظرية
- العلوم العملية
- العلوم الشعرية

ولم يجعل المنطق الذي ابتكره ضمن أية خانة من هذا التصنيف؛ لأنه ليس علما بنظره، بل آلة للعلم. وبهذا يتضح أن أرسطو كان في حقيقة الأمر يستهدف بناء تراتبية لتأكيد هيمنة المنطق على العلوم الأخرى.

وصَنَّف **أوغوست كونط** العلوم تصنيفا خطيا: الرياضيات، الفلك، الفيزياء، الكيمياء، البيولوجيا، علم النفس، علم الاجتماع، استخدم فيه ظاهريا معيار درجة التعميم، ودرجة التعقيد، والتطور التاريخي، لكنه في حقيقة الأمر كان يستهدف بناء تراتبية لتأكيد هيمنة علم الاجتماع على العلوم الأخرى.

وصَنَّف **جان بياجي** العلوم تصنيفا دائريا لتجاوز التصنيف الخطي لكونط. واعتبر أن كل علم توجد فيه ثلاثة مجالات: موضوعه، ونظرياته، ومنهجه ونتائجه. كما اعتبر أن كل معرفة مرتبطة بالذات والموضوع في نفس الوقت، وكل العلوم مترابطة بالضرورة فيما بينها. إن تراتبية بياجي أشد حدة من تراتبية كونط؛ فكل العلوم محكومة بنفس المجالات الإبستمولوجية، وتخضع لنفس المبادئ الإبستمولوجية. وبهذا تصبح الإبستمولوجية علما مفارقا يتجاوز كل العلوم الأخرى ويهيمن عليها.

وفي كل مكتبات الدنيا تجد الكتب مصنفة بمرجعية التصنيف العشري الكوني للأمريكي **مِلْفِل ديوي**. هذا التصنيف "الكوني" للمعارف الإنسانية يضع الدين في القسم الثالث بعد الفلسفة، ويخصص سبع شعب تصنيفية من القسم الثالث (200) للديانة المسيحية وحدها،

ويركن باقي الأديان في زاوية الشعبة الأخيرة. وفي القسم الخامس (400) الخاص باللغات يخصص سبع شعب تصنيفية للغات الغربية وحدها، ويركن باقي اللغات في زاوية الشعبة الأخيرة. وفي القسم التاسع (800) الخاص بالآداب يخصص سبع شعب تصنيفية لآداب اللغات الغربية وحدها، ويركن آداب باقي اللغات في زاوية الشعبة الأخيرة.

لم يكتف الغرب بتصنيف المعارف الإنسانية حسب مصالحه وحاجاته، بل قدمها للعالم على أنها كونية .وصدَّق العالم الخدعة. **مكر الغالب عال جدا، وغباء المغلوب لا حدود له.**

**وراء كل معرفة توجد سلطة مؤسسية تحتكر حق الإنتاج المشروع للمعرفة، وتستهدف تأكيد سلطتها المعرفية والحفاظ عليها.** وتصنيف العلوم رغم أنه ضرورة ابستمولوجية، إلا أنه مع ذلك وقبله ضرورة إيديولوجية؛ ففي كل تصنيف توجد تراتبية، أي تأكيد هيمنة علم أو مجموعة من العلوم على علوم أخرى. وفي كل تصنيف توجد معايير تسمح بإثبات مشروعية علم وإقصاء آخر.

## التصنيف التكاملي للمعرفة

**نظرة الجندي للسهل تختلف عن نظرة الفنان أو الفلاح أو المهندس.**

تأمل أحمد السهل الممتد كبحر لا ساحل له ثم قال:

- نظرة الجندي للسهل تختلف عن نظرة الفنان أو الفلاح أو المهندس.

هذه السهول الممتدة للعلوم والفنون والمهن مُغْرِية بموسوعية علمية على شرط الغالب وتصنيفاته، تمنح المغلوب **الغيبوبة المعرفية السعيدة**، لكن لا تعطيه العلم النافع الذي يسمح له بتحليل التاريخ والواقع ونقدهما، ورسم مسار ممكن لمستقبله ومصيره. لذلك حتى لا نترك حبل القراءة الموسوعية على غارِب النشوة المعرفية المخدرة، نحتاج إلى معايير لتصنيف العلوم، تسمح بتبين المعارف النافعة وقيمتها وأولوياتها.

ثلاثة معايير، مرتبة في سُلَّم مزدوج؛ هو سُلَّم القيم في اتجاه، وسُلَّم الأولويات في الاتجاه الآخر، تتيح لنا تصنيف العلوم تصنيفا يستجيب لحاجاتنا:

- **معيار الغايات الروحية** لمعرفة معنى وجود الإنسان ومصيره ومسؤوليته وشروط المعرفة.

- **معيار الأهداف الأخلاقية لمعرفة** الغير وطبيعة وجوده وأخلاقيات العلاقة معه.

- **معيار الوسائل العقلانية والمادية لمعرفة** الطبيعة والأشياء وتسخيرها للإنسان.

تمنحنا هذه المعايير **تصنيفا لولبيا للعلوم** يتجاوز التصنيفات الخطية والدائرية، **وتصنيفا تكامليا للمعرفة** يتجاوز التصنيفات التفاضلية. وتقوم فكرة هذا التصنيف اللولبي على الفرضيات العلمية والعملية التالية:

- **وجود مستويات منطقية متعددة للحقيقة**: عالم الروح، وعالم الأخلاق، وعالم العقل والمادة. ولكل مستوى منطقي قوانينه الخاصة به، وبالتالي لكل مستوى أصول المعرفة والعلم الخاصة به.

- **وجود حاجات متعددة ومختلفة للإنسان** لا يمكن إشباعها بشكل كامل ومتوازن إلا من خلال تكامل هذه المستويات المنطقية.

- **وجود سُلَّم مزدوج**؛ هو سُلَّم القيم في اتجاه، وسُلَّم الأولويات في الاتجاه الآخر يحكم العلاقة بين هذه المستويات المنطقية للحقيقة.

وعلى ضوء هذه المعايير والفرضيات يكون تصنيف العلوم كالتالي:

- **علوم المعنى والمصير**: الأصول، القرآن، والحديث، فقه العقيدة، فقه العبادات، فقه السيرة، فقه السنة، التصوف، الديانات الأخرى ...

- **علوم العلاقات الإنسانية:** إبستمولوجيا العلوم الاجتماعية، الأخلاق، وعلوم التربية، والاجتماع، والتاريخ، والاقتصاد، والسياسة، والإدارة، والقانون، والتواصل، والإتيكيت...

- **علوم الطبيعة وتطبيقاتها:** إبستمولوجيا العلوم الطبيعية، الرياضيات، والفلك، والفيزياء، والكيمياء، وعلوم الأرض والنبات والحيوان، والهندسة، والصناعة...

عندما نترك حبل القراءة الموسوعية للمغلوب على غارِب تصنيف الغالب، يرعى القارئ حيث مصلحة الغالب لا حيث مستقبل المغلوب.

# تكامل المعرفة ووحدة العلم

**تحتاج القراءة الموسوعية أن تتسلح بالنظرة العلمية الشاملة والمشروع العلمي المتكامل.**

استيقظ الجميع على منظر غريب: أرض المعرفة الموسوعية أصبحت قطعا صغيرة ومتعددة من الحقول المعرفية العائلية.

إن تاريخ العلوم هو تاريخ انقسامها وتشتتها واستقلالها عن بعضها البعض بدعوى التخصص والتخصص الدقيق. وهذا التقسيم له ما يبرره؛ فالأنساق الطبيعية نفسها منقسمة، فجسم الإنسان مثلا منقسم إلى أجهزة، هي بدورها منقسمة إلى أعضاء. لقد شكل هذا التطور والانقسام مصدرا رهيبا لخصوبة العلوم. لكن مع تطور العلوم وانقسامها انتهى عصر الموسوعية، وتشتتت المعرفة بشكل خطير Hyperspécialisation. ولمواجهة هذه المشكلة اخترع العقل العلمي **التخصصية التعددية** Pluridisciplinarité، **والتخصصية التفاعلية** Interdisciplinarité، **والتخصصية التكاملية** Transdisciplinarité لإعادة بناء تكامل المعرفة ووحدة العلم. وهذه الأشكال الثلاثة للتخصصية هي "موسوعية" عصرنا.

إن العقلية التحليلية التصنيفية التي قامت بتقطيع الواقع، وتصنيف معارف الإنسان وأعماله حول الواقع إلى علوم وتقنيات، تناست أو تجاهلت أن هذا الواقع هو "كل لا يتجزأ". وعندما بدأت هذه

العقلية تلاحظ الترابط بين العلوم والفنون والمهن، انتقلت تدريجيا **من التخصص المنغلق إلى التخصص المنفتح، ومن التخصصية التعددية إلى التخصصية التفاعلية.** وتطورت هذه الضرورة النظرية والعملية في مرحلة متقدمة إلى اكتشاف الحاجة إلى **تكامل المعرفة ووحدة العلم**.

لقد تسبب التشتت الاجتماعي والتاريخي للعلم، والنظرة المتخصصة للعلماء، في غياب **النظرة العلمية الشاملة والمشروع العلمي المتكامل**. والحدود الفاصلة بين التخصصات، واللغة والمفاهيم الخاصة بكل تخصص، هي أكبر تهديد اليوم لقدرتنا على النظرة الشمولية والتكاملية لمشاكل الحاضر والمستقبل. وليس أمام العقل العلمي اليوم من حل سوى **التخصصية التكاملية**.

وإذا كان لكل تخصص علمي معرفته الخاصة به، فإن التخصصية التكاملية لها المعرفة الشاملة المتمحورة حول حاجات الإنسان وانتظاراته. هكذا رجعنا، بعد تاريخ طويل من التجزئة، إلى وحدة الكون والحياة والإنسان، ولم يعد الدين وحده يبحث عن التكامل والمعنى والاتجاه، بل أصبحت كل العلوم تبحث عن التكامل والمعنى والاتجاه. انفتحت الحدود الفاصلة بين العلوم، وأصبحنا اليوم ندرس الظواهر البيولوجية مثلا على أنها ظواهر فيزيائية واجتماعية، ولم يعد العلم يتكلم لغة الحقيقة الواحدة والمنطق الواحد، بل أصبح يتكلم لغة **المستويات المتعددة للحقيقة، والمستويات المتعددة للتنظيم، والمنطق المتعدد**. إن التكاملية اليوم تقترح على العلم التوقف عن البحث عن

المزيد من الفعالية والتحكم في الطبيعة والتقنية، والتحول إلى متابعة رحلة تنمية الإنسان.

تأمل أحمد المنظر الغريب لأرض المعرفة الموسوعية وقد تحولت إلى حقول معرفية متخصصة، وجهود المعرفة الشاملة التكاملية في بناء مشروع علمي متكامل وقال:

- هل كان من الضروري فصل الإنسان عن الطبيعة، والذات عن الموضوع، والجسد عن الروح، والعلم عن الفن، وتوجيه البحث العلمي نحو المزيد من التجزئة والفعالية، لندرك عبثية حياة الفردانية ومجتمع الاستهلاك، وحاجتنا إلى الموسوعية والتكامل والمعنى والاتجاه؟

## مفترق طرق مفتوح على ثلاثة اتجاهات

**"أي من هذه الطرق يمتلك قلبا؟" باولو كويلو**

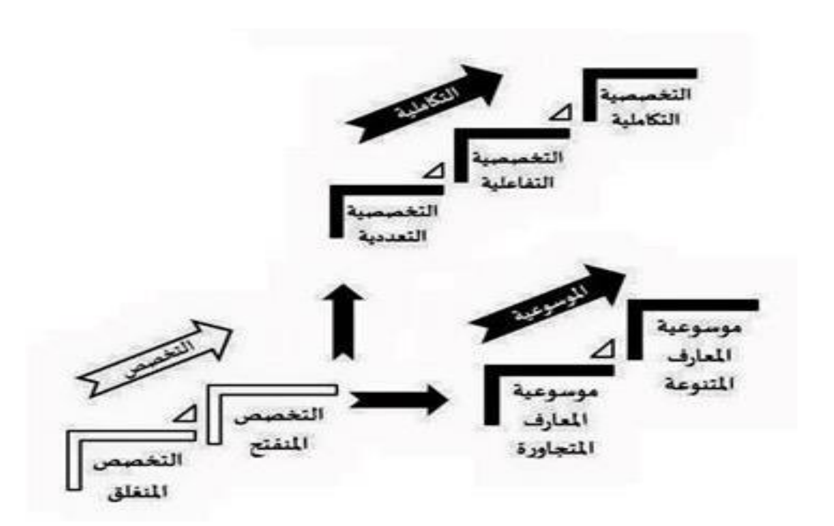
**هل من بديل عن ثنائية التخصص والموسوعية لإعادة طرح الإشكال بشكل مختلف، والانفتاح على آفاق جديدة في الحل؟**

إن البحث المستمر للعلوم والتقنيات عن الفعالية والنجاعة والمزيد من الأداء العالي أفضى إلى إنتاج معارف ضخمة ومجزأة. ولمواجهة هذه النظرة التخصصية التجزيئية ظهرت عدة تيارات فكرية وإبستمولوجية أبرزها الموسوعية والتكاملية.

توجد المعرفة إذن في مفترق طرق مفتوح على ثلاثة اتجاهات:

- **التخصص المفرط** Hyperspécialisation ، وهو نوعان: تخصص منغلق وتخصص منفتح.
- **الموسوعية** Encyclopédisme ، وهي نوعان: موسوعية المعارف المتجاورة وموسوعية المعارف المتنوعة.
- **التكاملية** Transdisciplinarité ، وهي ثلاثة أنواع: تعددية وتفاعلية وتكاملية.

وعلينا أن نختار من بين هذه الاتجاهات نمط العلاقة التي سنبنيها مع المعرفة، لكن السؤال هو: كيف؟


التكاملية
التخصصية التكاملية
التخصصية التفاعلية
التخصصية التعددية
الموسوعية
موسوعية المعارف المتنوعة
موسوعية المعارف المتجاورة
التخصص
التخصص المنفتح
التخصص المنغلق

## الطريق الأول: التخصص المفرط

**إن التخصص المفرط مفيد للعلم، لكنه مُضِر للعالِم.**

**لولا التخصص المفرط لما كان للموسوعية والتكاملية وجود؛** فقد كان من الضروري انتظار حصول تراكم معرفي كبير في التخصصات ليدرك العقل الإنساني الحاجة إلى التكامل المعرفي. ويمكن أن نميز بين نوعين من التخصص:

- **التخصص المنغلق**، وهو التخصص الذي ينغلق على ذاته، ولا يسمح باندماجه داخل إشكالية عامة أو تصور كلي للموضوع الذي يختزل في واحد من مظاهره أو أجزائه.
- **التخصص المنفتح**، وهو التخصص الذي ينفتح على التخصصات الأخرى، ويسمح باندماج إشكالاته وقضاياه داخل إشكالات وقضايا أعم تفترض مقاربة موسوعية، أو مقاربات من طبيعة تعددية أو تفاعلية أو تكاملية.

إن مشاكلنا اليوم مرتبطة بسياق، وشمولية، ومتعددة الأبعاد، ومركبة. والمعرفة التخصصية مُجردة، ومُجزأة، وأحادية البعد، وبسيطة. وعندما يكون التخصص هو فصل الموضوع عن سياقه وعن مجموعه

وتجزئته واختزاله في بعد واحد، يصبح التخصص هو المسؤول الأول عن المشاكل والأزمات لا المرجع الأول في الحل .

وبناء على ما سبق نرى أن **التخصص المفرط مفيد للعلم، لكنه مُضِر للعالِم**. إن التخصص المفرط يفيد العِلم لا العالِم، والمتخصص الذي لا يملك مع معارفه التخصصية معارف موسوعية متخصص أمِّيّ. فقراءات المتخصص في علم الاجتماع مثلا يجب أن تمتد إلى العلوم المجاورة مثل علم النفس، والتاريخ، والاقتصاد، والسياسة، والأنثروبولوجيا، واللسانيات، والأدب. وقراءات المتخصص في الفيزياء يجب أن تمتد إلى الرياضيات، والكيمياء، والفلك.

## الطريق الثاني: الموسوعية

**الموسوعية اتجاه نحو مراكمة معارف إنسانية من مجالات متنوعة، مع ملاحظة الترابط بينها.**

ما الموسوعية؟ هل هي مجرد ترجمة المعارف العلمية إلى اللغة العادية، أم هي مراكمة المعارف الإنسانية بشكل دقيق وشمولي؟

هي موسوعيات تبدأ من حاطب ليل، يحطب بالترتيب الألفبائي أو بالتصنيف الموضوعي التراب المتراكم على الكتب، إلى رجال الفضول المعرفي الجامح، والموسوعات البشرية الرهيبة.

يعطينا التاريخ نماذج بشرية رهيبة للموسوعية.

هذا **أبو حامد الغزالي** موسوعة بشرية رهيبة، وتجسيد إنساني مثالي للموسوعية: فيلسوف مع الفلاسفة، وفقيه مع الفقهاء، ومتكلم مع المتكلمين، وصوفي مع الصوفية، ومنطقي مع المناطقة، وأصولي مع الأصوليين.

وهذا **ابن رشد** موسوعة بشرية أخرى.. ممتدة عبر حقول الفلسفة، والطب، والفقه، وعلم الكلام، والأدب، واللغة.

وهذا **ليوناردو دا فينشي**، رجل الفضول الجامح، والموسوعة البشرية الرهيبة.. كان رساماً، ومهندساً، وعالم نبات، وعالم خرائط،

وجيولوجياً، وموسيقياً، ونحاتاً، ومعمارياً، وعالماً.. إنه أحد أعظم عباقرة البشرية، وتجسيد إنساني مثالي آخر للموسوعية.

الموسوعية اتجاه نحو مراكمة معارف إنسانية من مجالات متنوعة، مع ملاحظة الترابط بينها؛ أي اتجاه نحو بناء معرفة إنسانية بأبعاد متعددة ومتفاعلة.

ويمكن أن نميز بين نوعين من الموسوعية:

- **موسوعية المعارف المتجاورة**. هي موسوعية ذات بعد واحد، تغطي حقولا معرفية متعددة لكنها متجاورة.
- **موسوعية المعارف المتنوعة**. هي موسوعية متعددة الأبعاد، تغطي حقولا معرفية متعددة ومتنوعة.

لكن هل لا تزال الموسوعية ممكنة اليوم في ظل الثورة المعرفية والتخصص المفرط؟

إن الموسوعية اليوم لها حدود. وظاهرة العلماء الموسوعيين أمثال أبي حامد الغزالي وابن رشد وليوناردو دافينشي لم تعد ممكنة في ظل ثورة المعارف والمعلومات وتعدد التخصصات الدقيقة بشكل مفرط. والموسوعية الوحيدة الممكنة اليوم هي "**الموسوعية الرقمية**".

وبالإضافة إلى حدود النزعة الموسوعية في عالم متخصص بشكل مفرط، وانعدام الحاجة الملحة إليها في زمن الثورة الرقمية والتواصلية، فإن الحاجة المتزايدة إلى توحيد المعرفة وتكامل العلوم تحد بدورها من

إمكانات هذه النزعة الموسوعية؛ لأن **الموسوعية في النهاية هي نثار من العلم لا يجمعه مشروع متكامل**. إن الموسوعية سواء كانت في علوم متجاورة أو متنوعة فهي في النهاية مجرد تبحر موسوعي في العلوم بدون مشروع جامع متكامل.

## الطريق الثالث: التخصصية التكاملية

**التخصصية التكاملية هي التعبير الأكثر تطورا اليوم عن فكرة المشروع العلمي الجامع.**

التخصصية التكاملية Transdisciplinarité رحلة طويلة وشاقة، قد تبدأ من التخصصية التعددية Pluridisciplinarité، أو التفاعلية Interdisciplinarité، قبل أن تستقر على تخصصية تكاملية. إنها التعبير الأكثر تطورا اليوم عن فكرة المشروع العلمي الجامع المتكامل الذي يجعل حاجات الإنسان وقضاياه محور المعرفة.

تتيح لنا التخصصية التكاملية تجاوز النزعات الاختزالية التالية:

- النزعة الموضوعية التشييئية للإنسان .
- النزعة التجزيئية للمعرفة.
- اختزال الواقع في مستوى واحد.
- حصر المنطق في منطق واحد.

إن التخصصية التكاملية تمنحنا نظرة جديدة للواقع والإنسان والمعرفة، تتحاور مع كل النزعات التخصصية الاختزالية وتتجاوزها في نفس الوقت لتنفتح على ما هو مشترك بينها، كما تجعل الإنسان مركز الكون والمعرفة في خدمة حاجاته وقضاياه لا العكس.

**التخصصية التكاملية تلبي حاجتنا إلى علم جامع يعم في نظرة واحدة مختلف أبعاد الوجود الإنساني، ويلم في مشروع معرفي واحد الإنسان والطبيعة والمصير.**

## الخيط الناظم لعقد المعرفة

**التخصصية التكاملية تمنحنا الخيط الناظم لعقد المعرفة.**

بعد قليل تشرق الشمس، وتقوم بما تعودت القيام به منذ ملايين السنين. الناس بحاجة إلى نور الشمس.

استيقظ أحمد ووقف يتأمل مفترق الطرق والاتجاهات الثلاثة.

بعض أصدقاء أحمد بدأ يخامرهم شعور غريب ومبهم: هو مزيج من السعادة الطافحة الزاخرة الغامرة، و"التشوف الجارف" إلى "كل شيء"، والصدمة الناجمة عن كونهم كانوا، ولا يزالون إلى حين، فعلاً في **غيبوبة سعيدة**..

- كان الله في عوننا معشر المغامرين في هذه الرحلة السعيدة من عالم الغيبوبات السعيدة إلى... إلى... إلى أين؟!

سنسلك كل الاتجاهات.

- لا أحد يستطيع أن يسلك كل الاتجاهات.

إذن، فلنقل **سنسلك كل الاتجاهات بالتتابع لا بالتوازي: الاتجاه الأول يمنحنا حبة من عقد المعرفة، والاتجاه الثاني يمنحنا الحبات الأخرى، والاتجاه الثالث يمنحنا الخيط الناظم للعقد.**

- لكن كيف؟

سنحتاج بكل تأكيد إلى مصادر وطرق وتقنيات، لكن **الطريق هو المعلم الحقيقي**.

## القراءة الناقدة

**العموميات الفكرية والعواطف الجياشة لا تسمح بتطور ملكة النقد.**

من الخيط الناظم لعقد المعرفة تبدأ الرحلة الجديدة؛ رحلة القراءة الناقدة. لا يمكن للقراءة أن تكون ناقدة إذا لم يكن للقارئ منظومته المعرفية الخاصة به. النقد ينطلق من مرجعية نسق فكري واضح. أما **العموميات الفكرية والعواطف الجياشة فلا تسمح بتطور ملكة النقد.**

**لماذا القراءة الناقدة؟**

لحماية أنفسنا من هيمنة الكاتب، وخاصة الهيمنة التي يمارسها باسم المشروعية. وأيضا لحماية أنفسنا من ضيق الأفق الفكري القائم على مطلق الرفض والاعتراض.

إن القارئ يواجه باستمرار تحديين: تحدي الهيمنة الخارجية للكاتب، وتحدي الهيمنة الداخلية لأفقه الفكري الضيق. والحل الوحيد هو "**حد أدنى من النقد المزدوج**".

**عندما نقبل بدون أي سؤال، ونتلقى تلقيا سلبيا بالجملة، نُعَرِّض أنفسنا لخطر. وعندما نرفض قبل أي سؤال، ونعادي عداء مبدئيا بالجملة، نُفَوِّت على أنفسنا فرصة.** وبين أن نأخذ ما يقوله الكاتب مُسَلَّماً وأن نرفض ونعترض بالجملة مسافة يحتلها القارئ الناقد.

لكن كيف نتحرر من هيمنة الكاتب، ومن هيمنة الأفق الفكري الضيق معاً؟

## الثورة المعرفية وضرورة النقد

**نحتاج إلى قراءة ناقدة تُمَيِّز الجَيِّد من الرديء.**

الثورة المعرفية اليوم هي أكبر تَحَدّ يواجه القارئ:

- المراجع متوفرة في كل حقول المعرفة بكثرة. في الكثير من التخصصات ينشر أكثر من ثلاثين ألف مقال شهريا.
- قاعدة المعرفة تتضاعف في كل التخصصات كل عشرين سنة.
- المعلومات تفقد نصف قيمتها كل عشر سنوات.
- 90٪ مما يكتب وينشر لا قيمة له من الناحية العلمية.
- نحتاج إلى قراءة عشرين مقالاً متخصصاً في اليوم طيلة 365 يوم في السنة لكي نواكب الجديد في تخصصاتنا. وهذا مستحيل .وبالتالي فنحن مضطرون أن نقرأ من خلال وسطاء (تحليلات، ملخصات...).

ولمواجهة هذا التحدي **نحتاج إلى قراءة ناقدة تُمَيِّز الجَيِّد من الرديء** وتساعدنا على:

- عدم تضييع الوقت في قراءة كتب ومقالات غير ملائمة، أو رديئة من الناحية المنهجية.

- معرفة مكان وجود المعلومة التي نبحث عنها في كتاب أو مقال بالضبط وبسرعة.

- الانتقاء السريع للمعلومة والمعرفة الملائمة.

- تحليل المعلومات والمعارف بعمق أكبر.

- اتخاذ قرارات جيدة.

- بناء المعارف والخبرات الذاتية على أسس علمية.

- بناء عقل منظم وفعّال.

## القارئ السلبي والقارئ الناقد

**القارئ السلبي حَاطِبُ ليل؛ ينفعل للمعنى والأمر، بمطلق الرفض والاعتراض أو مطلق القبول والتسليم.**

في القراءة، كما في مجالات أخرى كثيرة، تآكل **الحس النقدي**، وأصبح الناقد فينا مُتْعَباً جاهزاً لتسليم الراية لعواطفنا الجياشة ومشاعرنا المجنحة أو للمتلاعبين بالعقول وصُنَّاع الرأي العام.

من كان يتوقع أنه سيأتي يوم نتأسف فيه على زمن النقاش والحوار والمناظرة والنقد؟ استبدلت الكتب المريحة والمُكَيَّفَة بكتب الأمس النقدية، واستبدلت القراءة السلبية بالقراءة الناقدة.

**القارئ السلبي** حَاطِبُ ليل؛ ينفعل للمعنى والأمر، بمطلق الرفض والاعتراض أو مطلق القبول والتسليم، ولا يتفاعل معهما أو يفعل فيهما.

أما **القارئ الناقد** فشيء مختلف تماما. القارئ الناقد له القدرة على التمييز بين الحجر والذهب، والتعرف على الذهب في أشكاله المختلفة. في اللغة، نَقَدَ المعادن نقداً فهو ناقد، أي مَيَّز جَيِّدها من رديئها. فيكون المعنى الأول للقراءة الناقدة هو الحُكْم المُنصف على النص الذي يُمَيِّز بكل موضوعية الجَيِّد من الأفكار والأساليب والمناهج عن الرديء، ويكشف عن رِهان الكاتب.

## المصفوفة الرباعية للقراءة الناقدة

**المصفوفات أدوات للفهم والتطوير.**

هل ينبغي للقراءة الناقدة أن تجعل موضوعها هو أفكار الكاتب وأساليبه ومنهجه ورهاناته، أم أسئلة القارئ وقضاياه ورهاناته؟ بتعبير آخر، هل ينبغي للقراءة الناقدة أن تخدم مشروع الكاتب أم مشروع القارئ؟ ثم هل ينبغي للنقد أن يكون نظريا يكتفي بفك أسر المعاني الحبيسة في النص، أم عمليا يفك أسر المعاني والأوامر الحبيسة في النص، والطاقة الحبيسة في الإرادة؟

للقراءة الناقدة إذن معياران:

- **معيار رهان النقد**: خدمة مشروع الكاتب في مقابل خدمة مشروع القارئ.
- **معيار طبيعة النقد**: نقد نظري في مقابل نقد عملي.

وبتركيب هذين المعيارين نحصل على **المصفوفة الرباعية للقراءة الناقدة:**

- النقد العملي الذي يخدم مشروع القارئ.
- النقد العملي الذي يخدم مشروع الكاتب.

- النقد النظري الذي يخدم مشروع القارئ.
- النقد النظري الذي يخدم مشروع الكاتب.

| | خدمة مشروع القارئ | خدمة مشروع الكاتب |
|---|---|---|
| نقد عملي | نقد عملي في خدمة مشروع القارئ | نقد عملي في خدمة مشروع الكاتب |
| نقد نظري | نقد نظري في خدمة مشروع القارئ | نقد نظري في خدمة مشروع الكاتب |

المصفوفة الرباعية للقراءة الناقدة

## رهان النقد

**النقد الذكي هو النقد الذي يخدم مشروع صاحبه.**

للنقد رهان. ورهانه هو خدمة مشروع الكاتب أو مشروع القارئ.

يكون **النقد في خدمة مشروع الكاتب** عندما يكون الناقد هو ذلك "البطل" الذي فوّضه الكاتب كي يأتي ويفك أسر المعاني الحبيسة في النص، ويكون **النقد في خدمة مشروع القارئ** عندما يخاطب هذا القارئُ الكاتبَ ويحاوره ويسائله وينتقده ويستفيد منه، حسب ما يجد عنده أو لا يجد من أجوبة لأسئلته وقضاياه. إن أهم ما في النقد ليس القدرة على نفي فكرة الكاتب وأسلوبه والإتيان بفكرة بديلة وأسلوب جديد، بل القدرة على ممارسة طريقة جديدة في التفكير تقوم على التعاون والحوار والتفاوض مع الكاتب بحثا عن إجابات وحلول لقضايا وأسئلة محددة. لكن **لكي تكون قارئاً ناقداً بهذا المعنى يجب أن تكون لك أسئلتك الخاصة وقضيتك التي تحاور الكاتب من أجلها وتفاوضه.**

إن **الكاتب الجَيِّد** يخترع لغة ثانية أكبر من اللغة المعتادة، لكن **القارئ الناقد** يخترع لغة ثالثة أكبر من اللغة الثانية. أما **القارئ الطيب** فتخترعه لغة الكاتب وتتكلمه. ولا يمكن للقارئ الطيب أن يقوم من هذا المس اللغوي، ولا أن يشفى منه إلا بتطوير الحس النقدي الذي يخدم مشروعه الشخصي. الطيبون من القراء هوامش على متن الكُتَّاب.

كان ابن رشد في نقده للغزالي يخدم مشروعه الشخصي. وكذلك كان نقد طه عبد الرحمن للجابري، ونقد أرسطو لأفلاطون، ونقد ماركس لهيجل، والأمثلة كثيرة في تاريخ **النقد الذكي الذي يخدم مشروع صاحبه**.

## طبيعة النقد

**"الممارسة معيار الحقيقة" كارل ماركس.**

وللنقد طبيعة. وطبيعته إما نظرية أو عملية.

**النقد النظري** هو النقد الذي يقف عند حدود فهم النص وتفسيره وتقييم مضامينه وأساليبه ومنهجه ورهانه. أما عندما يتجاوز النقد كل ذلك إلى البحث عن حلول عملية لأسئلة عملية تكون ساعة **النقد العملي** قد حَلَّت.

القارئ الناقد نقداً عملياً هو ذلك البطل الذي فوّضه القارئ كي يأتي ويفك أسر المعاني والأوامر الحبيسة في النص، والمشاعر الحبيسة في الوجدان، والطاقة الحبيسة في الإرادة. كان ماركس يقدم النقد على أنه تحليل نقدي للواقع الاجتماعي. ومن التحليل والنقد إلى التغيير مباشرة. بالشعر أو بدون الشعر النقد العملي لا يتكلم اللغة الأكاديمية "الباردة".

إن **النقد النظري** يتميز بثلاث خصائص:

- موضوعية الفكرة.
- برودة المشاعر.
- حياد المصالح.

أما **النقد العملي** فيتميز بنقيضها:

- فعالية الفكرة.
- انفعال المشاعر.
- تحيز المصالح.

## تحسين أداء القراءة الناقدة

**الكتاب الذي لا يستحق النقد العملي لا يستحق القراءة.**

على ضوء المصفوفة الرباعية يصبح سؤال تحسين الأداء القرائي هنا هو: **كيف أكون قارئا ناقدا نقداً عملياً يخدم مشروعي الشخصي؟**

والجواب هو:

- ابدأ باختيار **المرجعية القرائية النقدية** الخاصة بك من بين أفضل الكتابات. انتق الدقة والوضوح والبساطة من الناحية المنهجية، والفعالية من الناحية العملية. الكتاب الذي لا يستحق النقد العملي لا يستحق القراءة.

- لا تقف عند المضامين. تأمل **منهج الكاتب** الذي أنتج هذه المضامين.

- لا تقف عند المعنى. اكتشف **رهان الكاتب** خلف المعنى، واستراتيجيته في تحقيق رهانه.

- **خاطب الكاتب، وحاوره، وفاوضه، واطرح أسئلتك العملية عليه، وانتقده، واستفد منه.**

**إن القراءة الناقدة، في قمة نضجها، هي القراءة التي يطرح فيها القارئ أسئلته العملية، باستخدام آلية المقابلة مع أفضل الممارسات الكتابية العملية، لخدمة مشروعه العملي.**

## معركة القراءة الناقدة

**الكتابة تكتيك، وعلى القارئ أن يبحث دائما عن الاستراتيجية في مكان آخر.**

تحولت السهول الممتدة للعلوم والفنون والمهن إلى ساحة معركة، وتحول القارئ إلى جندي. لا مكان للقراءة الهادئة بعد اليوم. ساعة القراءة الناقدة قد حَلَّت.

**القراءة الناقدة معركة**. والمعركة، كما قال لاو تسو، أمر مختلف عن الشجار. والمواجهة في هذه المعركة مزدوجة، على جبهتين في آن واحد: جبهة **مهاجم شرس اسمه الكاتب**، وجبهة **صانع ألعاب ماكر اسمه اللغة**.

تأمل أحد المغامرين طبيعة المعركة وقال:

- ما أصعب أن تحارب على جبهتين في نفس الوقت.

قال أحمد:

**الناقد يحارب دائما على جبهتين**، ولا خيار له في ذلك.

يبدي القارئ الناقد الاحترام للمفهوم والاستعارة، وللعبارة والإشارة، وللنصوص بأنواعها، وللخطابات بأجناسها. ويتعلم من شراسة الكاتب ومكر اللغة، ويَعْلَم بالتجربة أن **كل من يخفق في اليقظة يترك الباب مفتوحا أمام الهزائم.**

يفكر القارئ الناقد ملياً قبل التحرك، ويأخذ دائما في الاعتبار **تكتيكات الكاتب واستراتيجيته**، ويقبل التحدي، ويتابع يوميا تدريباته ويطور تجربته، ولا يسمح لنفسه بجهل **قواعد اللعبة**.

وكل ما يملكه القارئ الناقد حين يبدأ ممارسة النقد حماسته، **وتقنيات النقد** التي تعلمها في التدريب. لكن كلما اشتد **الصراع الثقافي** يكتشف أن **التجربة ضرورية**، وأن الحماسة والتدريب لا يكفيان للانتصار في المعركة.

والقارئ الناقد يعرف جيداً أن **الكتابة تكتيك**. لذلك فهو يبحث دائما عن الاستراتيجية في مكان آخر. القارئُ الطيب وحده من يعتقد لسذاجته أن الكاتب يكتب. الكاتب في الواقع لا يكتب، لأنه يكون عادة منشغلا بأشياء أخرى، لا يدركها إلا القارئ الناقد.

وعندما ينطلق القارئ الناقد فإنه لا يتوقف أبدا. شغفه يمنعه من التوقف، ويثابر حتى النهاية. **القارئ الناقد يملك قضية** يقرأ ويمارس النقد من أجلها، ويملك من طول النفس ما يمكنه من الاستمرار حتى النهاية.

والقارئ الناقد لا يستعجل أبدا حينما يُخرج قوسه ويصوب سهامه نحو الكاتب أو اللغة. يدرك جيدا أن **نصف المعركة إعداد ونصفها صبر**. لذلك فهو ينتظر دائماً اللحظة المناسبة لإطلاق السهم.

**وحينما يحتاج القارئ الناقد إلى مساعدة يتحالف مع اللغة ضد الكاتب**. لكن اللغة لا تكون حليفا بسهولة؛ فاللغة تتكلمنا أكثر مما

نتكلمها .**اللغة خصم يصعب هزمه، وحليف يجب الحذر منه**. اللغة هي أخطر النعم؛ لأن الوجود بأكمله يسكنها.

## القارئ الطيب

**القارئ الطيب يلعب الدور الذي اختاره له الكاتب.**

أما **القارئ الطيب** فقصة أخرى.

من هو القارئ الطيب؟ هو القارئ الذي يُفْعَل به ولا يَفعل. إنه **قارئ ساذج ومتفائل**، يتلقى المعنى والأمر دون نقد، دون إحساس بالحاجة إلى النقد. ويغذي انعدام هذا الإحساس عنده إغراء القراءة المتفائلة لأنها عملية مريحة.

**القراءة المتفائلة** تمنح القارئ الطيب نشوة المعارف المسلم بها وغيبوبتها، ويتغنى القارئ الطيب بمتعة هذه القراءة وفائدتها في الغرف المكيفة لجلسات القراءة الماتعة والمفيدة.

القارئ الطيب هو القارئ الذي **تغمره رياح الكاتب**، ولا يكتشف الأهمية الاستراتيجية للقراءة الناقدة إلا بعد مضي وقت طويل من الخسائر وضياع الفرص. وقد لا يكتشف أهمية القراءة الناقدة أبدا.

القارئ الطيب يلعب الدور الذي اختاره له الكاتب، إنه جزء من عالم الكاتب؛ لأنه ينطلق في رحلته بلا سلاح ولا زاد، سلاحه الوحيد نواياه الطيبة، وسذاجته التي تجعله يغامر في رحلة إلى الموت: **موت القارئ**. لكن هل يجب في المقابل أن يموت الكاتب ليحيا القارئ؟

القراءة الناقدة تمنحنا الفرصة والقدرة على ممارسة طريقة جديدة في القراءة تقوم على التعاون والحوار والتفاوض مع الكاتب بحثا عن إجابات وحلول لقضايا وأسئلة مشتركة. في القراءة الناقدة وحدها يحيا القارئ والكاتب معا.

## أسلحة المعركة

**الحس النقدي تِرْياق تُدْفَع به الأخطاء والأوهام.**

وقف البعض مندهشا ومتسائلا:

- ما حدثتنا عن الحرب في دفتر التحملات. كنا نظنها سلما، فأردتها حربا. نصرك يا الله.

- ولماذا يجب أن يتحول القارئ الناقد إلى جندي؟

**القراءة الناقدة معركة**، وبالتالي فإن **القارئ الناقد جندي**. ولأن الجندي إنسان وسلاح تحدثنا عن هذا الإنسان وحوافزه وإرادته ووعيه وذكائه ويقظته وتجربته واستراتيجيته وتحالفاته، وبقي أن نتحدث عن أسلحته اللغوية والمعرفية، والمتطلبات الفكرية والمنهجية والأصولية (نسبة إلى أصول العلم) للمعركة.

**ما الحس النقدي؟**

هو أن نتوقف أثناء الرحلة في محطات لتقييم المنهجية والنتائج حتى لا نقع في الأخطاء والأوهام. **إنه تِرْياق تُدْفَع به الأخطاء والأوهام، لكنّ الهائمين في الغيبوبات السعيدة ما لهم تِرْياق ولا راق.**

**ومن الناحية الإجرائية، يشير الحس النقدي إلى القدرة اللغوية والمعرفية على التساؤل، بمرجعية فكرية واضحة وشمولية وأصيلة،**

**وبمتطلبات منهجية وإبستمولوجية عالية، عن الأهمية التي نمنحها للوقائع، وصحتها، والعلاقات بينها، وعن المعنى.**

القارئ لكي يكون ناقداً يحتاج إذن إلى:

1. **تغيير علاقته باللغة:** فاللغة ليست كائناً بريئاً يقوم بوظيفة تواصلية محايدة، بل هو كائن خطير. فأن "نكتب" معناه أن نتواصل بهدف التأثير والإقناع، وأن نواجه بهدف السيادة والسيطرة. واللغة هي قناة لكل معرفة، وتتوسط علاقاتنا بذواتنا والعالم والعمل. ولذلك يحتاج القارئ إلى تطوير القدرة على إحداث ثقوب في اللغة لرؤية ما يوجد خلف الكلمات وما بينها.
2. **تطوير قدراته المعرفية العليا**: القدرة على التحليل والتركيب والحكم السليم، بما يدعم استقلاليته الفكرية، وباحترام تام لأفكار الكاتب وطريقة تفكيره.
3. **بناء مرجعية فكرية واضحة وشاملة وأصيلة** لفلترة الأفكار، ووضع الأسئلة الخاصة التي تنطلق من هذه المرجعية وتخدمها وتبحث لها عن أجوبة من خلال مخاطبة الكاتب ومحاورته ومساءلته ونقده. إن القراءة الناقدة تولد في اللحظة التي تنبثق فيها أسئلة يبحث لها القارئ عن أجوبة عند كاتب يثق في كفاءته العلمية والمنهجية.

4. **تحصيل أدوات منهجية متكاملة وفعالة**، وعلى رأسها تحليل الخطاب الذي يساعد القارئ على فك عزلته المنهجية بالتفاعل مع حقول معرفية متعددة ومتنوعة، والوعي التاريخي الذي يمنح القارئَ الناقدَ حساً تاريخياً يساعده على وضع ما يقوله الكاتب في مواضعه النسبية في الزمان والمكان والأهمية بدل وضعه في مكانة المطلق. إن التاريخ الاجتماعي للفكر يساعد القارئ على تحصيل فهم أعمق للفكر.
5. **بناء يقظة أصولية عالية جدا تجاه الرغبات والمعتقدات؛** فعلى الطريق يوجد قطاع طرق كالرغبة واللغة، فيحتاج القارئ إلى إيقاظ الناقد الأصولي الذي بداخله، لكي لا تتحول رغباته الشخصية إلى معرفة، ومعتقداته الشخصية إلى قيم.

## الاشتغال على الذات

**القراءة الناقدة تفترض نضجا فكريا وعاطفيا وأخلاقيا في نفس الوقت.**

وقبل الأدوات (اللغوية والمعرفية والفكرية والمنهجية والأصولية) ومعها، هناك حاجة إلى **الاشتغال على الذات**؛ لأن النقد هو مواجهة مباشرة مع الذات وتمثلاتها ومعتقداتها ومشاعرها قبل أن يكون مواجهة مع الكاتب.

ليست **التربية النقدية** تربية عقلية خالصة تكفي فيها تنمية القدرات المعرفية واكتساب المهارات المنهجية التي تمكننا من تمييز الأفكار بدقة والحكم عليها بشكل منطقي وسليم، بل هي **عملية مركبة تتداخل فيها أبعاد فكرية وعاطفية وأخلاقية في نفس الوقت**.

إن القراءة الناقدة صعبة لأنها تفترض نضجا فكريا وعاطفيا وأخلاقيا في نفس الوقت:

- **النضج الفكري** لأنها تقوم على عمليات عقلية عليا ومرجعية فكرية واضحة وأدوات منهجية فعالة.
- **النضج العاطفي** لأن الأفكار تتداخل وتتفاعل وتتشابك مع المشاعر.
- **النضج الأخلاقي** لأن الأفكار تكون أحيانا وراءها مصالح.

وقف الجميع يتأمل هذه الترسانة من الأدوات والحاجة إلى الاشتغال على الذوات ويتساءل:

- ومن أين يأتي القارئ الناقد بكل هذه القدرات والاستعدادات؟

أنصت أحمد للحظة إلى عقله وإرادته وقال:

**إن من يملك قضية، يتعلم كل ما هو في حاجة إلى تعلمه.**

## القراءة اللولبية

**الإبداع ضرورة. لكن إذا لم يكن للمبدع محور مركزي ثابت يدور حوله فأولُ ما يجني عليه إبداعه.**

بعد النقد يأتي الإبداع، وبعد القراءة الناقدة تأتي القراءة المبدعة.

الإبداع هو إنتاج عقلي جديد ومفيد، يتميز بالطلاقة والوضوح والمرونة والأصالة.

أما **القراءة الإبداعية** فهي عملية تفاعل بين القارئ والنص تقود إلى توليد تركيبات جديدة ومفيدة.

الإبداع ضرورة. لكن إذا لم يكن للمبدع محور مركزي ثابت يدور حوله فأولُ ما يجني عليه إبداعه. **المبدع الحر حرية مطلقة أشبه ما يكون بجرم تائه في الفضاء.**

من هنا أتت فكرة اللولب والقراءة اللولبية، من الحاجة إلى مصطلح يجمع بين المعنيين: حرية الإبداع وحيويته، ووجود مرجعية ثابتة.

هذه الكلمة لم آخذها صدفة، إنما موافقة، فإذا بالكلمة حبلى بالكثير من المعاني والمبادئ.

## تحدي الإبداع الحر والمرجعية الثابتة

**الأجرام الفكرية التائهة في الفضاء كالأفكار الجامدة كلاهما قاتل.**

ما القراءة اللولبية؟

**اللولب، في تعريف أول، هو منحنى ينطلق من نقطة مركزية، ثم يبتعد شيئا فشيئا، لكن يبقى دائما يدور حول المحور المركزي الثابت.**

يعطينا مفهوم اللولب إذن المعاني الأولية التالية:

- نقطة مركزية للانطلاق.

- الحركة والتطور والنمو والتقدم.

- محور مركزي ندور حوله.

انطلاقا من هذا المعنى الاصطلاحي العام نضع مصطلحنا الخاص **للقراءة اللولبية: "هي القراءة التي تنطلق من مرجعية فكرية، ثم تبتعد شيئا فشيئا، لكن تبقى دائما تدور حول المحور المركزي الثابت للمرجعية الفكرية".**

توجد حاجة ملحة ومصيرية إلى منظومات أفكار حية ومتطورة؛ فالجمود الفكري قاتل، والمنظومات الفكرية المتوقفة عن النمو مَوَات. لكن هناك فرق بين أن تتحرك حول محور مركزي ثابت، وأن تكون جرما تائها في الفضاء. إن الأجرام الفكرية التائهة في الفضاء كالأفكار الجامدة

كلاهما قاتل. والتحدي هو: **كيف نقوم عمليا بتطوير قراءة تكون دعامة لهذه الحركة الإبداعية اللولبية التي تجمع بين حرية الإبداع وحيويته، ووجود مرجعية ثابتة؟**

## تحدي الأزواج الثنائية

**الثنائيات هي أحد أسرار الخلق الكبرى.**

وللقراءة اللولبية مفهوم ثان؛ **قراءة متموّجة بين "الأزواج الثنائية"**: العقل والقلب، الأنا والغير، الأنانية السامية والغيرية الحانية، الانكباب على الذات والانفتاح على الغير والعالم، العطاء والادخار، التفكير الإيجابي والتفكير السلبي، النظرية والتجربة، العلم والعمل، الحق والواجب، الأمن والحرية، الجبر والاختيار، الدال والمدلول، المفهوم والاستعارة، العبارة والإشارة، الخارج والداخل، الواقع والمثال، الطيبة والمكر، الحوار والصراع، الحضور والغياب، الظاهر والباطن، التنافس والتعاون، المركزية واللامركزية، التغيير والاستمرارية، العملية والمنتج، الاستراتيجي والتكتيكي، العلاقات والنتائج... **نسلك في رحلة القراءة اللولبية نفس الطرق، ونقف في نفس المحطات، لكن على مستويات منطقية مختلفة، وفي حقول معرفية واجتماعية متعددة، ونتعلم في هذه الرحلة أن ننتبه للفروق في القوانين والقيم عندما ننتقل من مستوى منطقي لآخر ومن حقل لآخر**. وهكذا نتحرر من فخاخ "**الأزواج الثنائية**".

**الثنائيات ليست ميتافيزيقية** بالمعنى الفلسفي الذي يعطيه نيتشه وهايدغر ودريدا وفلاسفة الاختلاف لهذا اللفظ. سلوك العقل الفلسفي

والعقل المعاشي تجاهها هو "الميتافيزيقي". والتفكيك الذي يستهدف الثنائيات، باستراتيجية شاملة تتجنب الوقوع في فخ الثنائيات، ويريد أن يقيم فيها ليقف على توتراتها الداخلية وقواها المتنافرة ويقوضها مجرد فلسفة عدمية.

**الثنائيات هي أحد أسرار الخلق الكبرى** (وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ. الذاريات 49)، **وأحد أسباب "الابتلاء" العظمى** (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً. الملك 2). عقبة. وما أدراك ما العقبة! **فهل يقتحمها القارئ بإدماج الطرفين، أم بالتمذهب لأحدهما على حساب الآخر، أم بإلغائهما معا؟**

## استراتيجية قرائية لولبية

**العلاقة بين كل زوجين اثنين هي علاقة عضوية وتكاملية، ولا يصح المفاضلة بينهما ولا دمجهما ولا إلغاؤهما معا.**

بعيدا عن النظرة المستقطبة للوجود التي تفشل في اختبار التعامل مع "**الأزواج الثنائية**" عندما تُميّز تمييزاً مطلقاً وحَدِّياً بين طرفين وتنتصر لأحد الحدين على الآخر وتتمذهب له، وعن النظرة التوفيقية التبسيطية التي تدمج الطرفين، وعن النظرة الفلسفية العدمية التي تقوم بإلغائهما معا، تمنحنا القراءة اللولبية "**استراتيجية قرائية لولبية**" ذكية تجنبنا الوقوع في فخاخ "الأزواج الثنائية"، وتخرجنا من الآفاق المغلقة لهذه الفخاخ.

إن العلاقة بين كل زوجين اثنين من "الأزواج الثنائية" التي توجد في كل شيء وتنتشر في كل مكان من هذا الوجود، هي **علاقة عضوية وتكاملية**، فهما وجهان لحقيقة واحدة، ولا يصح المفاضلة بينهما ولا دمجهما ولا إلغاؤهما معا.

عندما نقرأ فنحن لا نقرأ بالعقل فقط، بل نقرأ بالعقل والإرادة معاً، نقرأ بشكل متموج بين العقل والإرادة. ليس فقط لأن الكاتب يخاطبهما معا في ذات القارئ، بل أيضا لأن القارئ يجب أن يتسلح بهما معا لمواجهة الكاتب.

وعندما نختلف مع كاتب فنحن لا نختلف معه في الفهم فقط، بل في الفهم والإرادة معاً. بل إن فهم وإرادة كل من القارئ والكاتب يتفاعلان بطريقة تموّجية: **فالإنسان يفهم في حدود إرادته، ويريد في حدود فهمه.**

وهكذا تتموج القراءة اللولبية بين الزوجين: المعنى والأمر، الفهم والإرادة..

القراءة اللولبية تجنبنا الصيغ الاختزالية والتبسيطية لتجاوز التعارض والتناقض الظاهر بين "الأزواج الثنائية"، وتعطينا إمكانية الحفاظ عليهما معا والتموج بينهما حسب "**المقام المنطقي**" الذي يتواجد فيه القارئ و "**حقل القراءة**."

**القراءة اللولبية تمنحنا نظرة تركيبية ومتعددة الأبعاد وشمولية، وتجنبنا النظرة البسيطة والأحادية البعد والمجزأة.**

قال أحمد:

"لذلك تجد القارئ اللولبي يناضل دوماً على جهتين: من أجل حرية الإبداع والمبادرة، ومن أجل المرجعية الثابتة. وهذا قدره".

# خاتمة

**كل شيء بأجل حتى التعلم.**

بإمكاننا دائما أن نتعلم، وأوان التعلم لا يفوت أبداً. لكن التعلم أحياناً يكون سابقاً لأوانه. فإذا أدركت أن وقت التعلم لم يحن بعد، فلا تضيع وقتك ووقت الآخرين في دروس سابقة لأوانها. كل شيء بأجل حتى التعلم.

# الفهرس

## هذا الكتاب

ما معنى "تعلم القراءة"؟

إن تعلم القراءة معناه أولاً أن تجد متعة في القراءة؛ تلك المتعة التي لم تبدأ في حياتنا بالمفردات والمعاني والقواعد وتحليل الخطاب والنقد، وإنما بدأت لحسن حظنا بأغاني الطفولة وحكاياتها.

وتعلم القراءة معناه ثانياً أن تجيد اختيار نوعية الكتب التي تقرأها؛ فليس المهم عدد الكتب التي تقرأها، وليس من الذكاء أن تقرأ أنوار كتب المنبع على ضوء شروحات كتب المصب؛ لأن كتاباً واحداً من المنبع يُغني عن ألف كتاب من المصب، وأن تتحرر من الرعب الذي تسببه كتب المنبع لدى المتمسكين بقراءة كتب المصب، وأن تتوب من ذنب كتب المستنقعات التي تسرق من عمرك.

وتعلم القراءة معناه ثالثاً أن تتقن استخدام المنهجيات الملائمة للفهم الواضح والدقيق. فالقراءة كالتفكير، بل هي التفكير عينه، تلك المعاناة الفكرية التي تقودنا إلى النهاية السعيدة: الوضوح والدقة والبساطة .

وتعلم القراءة معناه أيضاً أن تملك القدرة على القراءة السريعة؛ أي على قراءة وفهم كتاب من مائة صفحة في ساعة واحدة، لكن مع الصبر على قراءة وإعادة قراءة ومقارنة وتمييز وتصنيف وتحليل وتأمل فقرة من مائة حرف في ساعات متعددة وأيام.

وتعلم القراءة هو كذلك أن تملك مهارة القفز بين الخطابات، والنقد الفعال والعملي لها.

وأخيرا تعلم القراءة هو التلقي من مستويات منطقية متعددة.

إن القصة التي يسردها هذا الكتاب هي قصة رحلة ممتعة وطويلة وشاقة؛ قصة وجود خارطة طريق لأنواع ومستويات القراءة. وهذه القصة لا تتحدث عن القراءة فقط، وإنما عن علاقتنا بها أولا. وإذا ما اقتنعت بأن علاقتك بالقراءة تحتاج إلى إعادة نظر فأهلا بك في رحلة المستويات السبعة للقراءة.